لواء الإسلام

مجلة دينية ثقافية اجتماعية

العدد الثالث ذو القعدة ١٣٧٨
السنة الثالثة عشرة ٩ مايو ١٩٥٩

صاحبها الأستاذ
أحمد حمزة

جروب مجلات قديمة - تليجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
أحمد حمزة

العدد الثالث
السنة الثالثة عشرة

لواء الإسلام

ذو القعدة ١٣٧٨ هـ
٩ مايو ١٩٥٩ م

(١) سُورَةُ الفَاتِحَة
مكية وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم ①
الحمد لله رب العالمين ② الرحمن الرحيم ③
مالك يوم الدين ④ إياك نعبد وإياك
نستعين ⑤ اهدنا الصراط المستقيم ⑥
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ⑦

نزلت بعد المدثر

حكمة العدد

كتب الحسن البصرى إلى الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يعظه ، فكان مما قاله له :

« يا أمير المؤمنين ، إن استقمتَ استقاموا ، و إن مِلْتَ مالوا ؛ يا أمير المؤمنين ، لو أن لكَ عمْرَ نوح ، وسلطان سليمان ، و يقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، ما كان لك بدّ من أن تقتحمَ العقبة ؛ ومن وراء العقبة الجنة والنار ، ومن أخطأته هذه دخل هذه » ! ! ...

الحج أشهر معلومات

نحن فى أشهر الحج ، وهى تبتدىء من شوال وتنتهى بذى الحجة أو بعشرها الأولى ، ونحن نطالع أول شهر من الأشهر الحرم التى قال الله فيها : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » .

وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأربعة هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان .

فنحن فى أشهر مباركة ، حرم فيها القتال ، وقررت فيها مناسك الحج والعمرة ، وهى أشهر اجتماع المسلمين على مائدة الرحمن ، يفدون إلى بيت الله فى ضيافته من كل فج عميق ، ومن أقصى الأرض وأدناها ، حيث تلتقى كل الأجناس ، وتذهب كل الاختلافات ، ولا يكون إلا مظهر واحد ، هو مظهر الإنسان يتجه إلى ربه الديان .

تمحى كل الفروق التي تظهر التفاوت فى الثروة ، وتمحى كل المظاهر التى تظهر التخالف الإقليمى ، ويصيح المسلمون أجمعون بصوت جهير : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك .

وهنا لك فى تلك المنازل الروحية ، يتعارف المسلمون ، ويتلاقون ويتناجون ، ويفكرون فى مآل أهل الإسلام ، وفيما ينبغى عمله لرفع كلمة الحق والدين ، وجعل كلمة الله هى العليا فى هذا الوجود الإنسانى .

وفى هذه الأرض المقدسة يتزود المسلمون بزاد من الروحانية التى تقطعهم عن ذلك العالم المتناحر ، وعن تلك المادية التى تفرق الجموع ، وتذهب بكل معانى الإنسانية .

وفى بيت الله الحرام يحسون بالأمن والسلامة والاطمئنان ، كأنهم من الذين قال الله فيهم : « أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » .

إن الإسلام فى حاجة لأن يتضافر أهله على نصرته ، أو بالأحرى إن المسلمين هم الذين فى حاجة لأن يتضافروا ويتناصروا ، ويجمعوا كلمتهم ويوحدوا رايتهم ، ويحفظوا تراثهم الخالد من المعانى القدسية ، التى نزلت على خير البشرية .

إنهم يرمَون من كل قوم بالأذى ، ويراد الشر بهم وبعقائدهم من كل مخالفيهم ، وكأنهم فى غابة كل من بها وما فيها يريد لهم الافتراس ، ولا يدفع الكارثة وينجيهم من الشر إلا أن يتجمعوا ويتحدوا ، ويمنعوا الدخيل من بينهم ، ويحتفظوا بتراثهم ؛ ويستمسكوا بالقرآن وسنة نبيهم ، ويدخروا الذخائر الروحية التى ورثوها ، لتكون منها قوتهم .

وإن تباعد الأماكن واختلاف اللغات ، كل هذا قد يفرق بينهم ، ولكن وهم مجتمعون فى البيت الحرام يستطيعون أن يتذاكروا وأن يتدبروا ، وأن يتآلفوا فيما بينهم ، وأن يسعوا إلى توحيد كلمتهم ، وجمع شتاتهم .

وفى ذلك الجمع المقدس يشكو كل إقليم جريح لأخيه جرحه ، وتداوى الأقاليم الإسلامية مجتمعة جراحها ، فلن يكون الدواء إلا من بينها ، ولن يكون المعالج إلا رحيماً من أهلها .

إن العالم الإسلامى يسكن أغزر بلاد الأرض بمعادنها ، وكنوزها ، وخيراتها ، وثمراتها ، ولكن كل هذا يصل إلى بطون أعدائها ، بسبب تفرق أبنائها .

ولو تذاكر المسلمون فى موسم الحج مصادر ثرواتهم ، وأقاموا فيه ندوات علمية تنظم اقتصادهم ، وتجمع شتات أمرهم ، وتزيل الفرقة بينهم ؛ وتأخذ بأيديهم ليسيروا على نور الله ، وبهدى من الله ، وبمحبة جامعة ، ثم هم يتفرقون من بعد ذلك ، بالأشباح لا بالأرواح ، يذهب كل واحد إلى بلده لينفذِ المنهاج الذى رسم ، ويسير فى الطريق الذى بين ، ويشعر بمحبة تربطه بكل إخوانه فى بقاع الأرض ، ويكون كل المسلمين ممن ينطبق عليهم قول النبى : « إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله يوم القيامة ، قيل : ومن هم يارسول الله ؟ قال : قوم تحابوا بروح من الله ، على غير أرحام تربطهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله إنهم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : « أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » .

٤ محمد أبو زهرة

تفسير القرآن الكريم

> « وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ، لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) » .
>
> (سورة آل عمران)

١ — بين الله سبحانه وتعالى العبر فى غزوة أحد وما كان فيها ، وقد أشار سبحانه فى آخر بيان العبر إلى ما عليه أهل الكفر من نعيم دنيوى ، وتمكين من أسباب الحياة ، وأشار سبحانه وتعالى إلى اختبار المؤمنين به سبحانه وتعالى بالشدائد ، مع رؤية نعيم الكافرين ، ليميز الله سبحانه وتعالى الخبيث من الطيب ، وأشار سبحانه إلى أن هذا الإملاء للكافرين ليس خيراً لهم ، بل إن عقباه ستكون شراً لهم ، لأنهم بهذا العطاء سيستمرئون الشر ، ويوغلون فيه إيغالا ، ووراء ذلك العذاب الأليم ، والخزى فى الدنيا والآخرة ، وفى هذه الآيات يصرح سبحانه بما يكون منهم فى النعمة التى اختبرهم سبحانه وتعالى بها ؛ إذ أنهم لا يجعلونها سبيلا للخير ، بل يحبسونها على أنفسهم حبساً ، فتكون شراً لا خير فيه لأحد ، ولذا قال سبحانه :

« وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ » .

٢ — البخل هو الحرص الشديد فيما يملك الإنسان من مال أو علم أو أى ضرب من ضروب القدرة التى يستطيع أن يعين بها غيره ، وعلى ذلك يشمل البخل كل شح ، سواء أكان موضوعه المال ، أم لم يكن موضوعه المال ، وقد فسر بعض العلماء البخل فى هذه الآية بكتمان العلم ، ذلك أن اليهود كتموا أوصاف النبى وتبشير التوراة به ، وضنوا بها فلم يعلنوها ليضلوا ، أو ليمنعوا الهداية .

وقد فسَّر الأكثرون البخل بمعناه الظاهر المتبادر ، وهو البخل فى المال ، ويتفق هذا مع سياق الكلام ، إذ أن الله سبحانه وتعالى قد حكى عن هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، أن منهم من يقول إن الله فقير ونحن أغنياء ، ولأن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد بيان بخلهم أن الله سبحانه وتعالى له ميراث السموات والأرض ، والتعبير بكلمة ميراث تومئ إلى أن موضوع البخل هو المال .

٣ — والنهى عن الظن وأن البخل المالى فيه خير فى قوله تعالى : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ » يدل على النفى المؤكد ، فالمعنى لا يصح لهم أن يظنوا بأى حال من الأحوال أن ذلك البخل فيه خير لهم ، بل فيه شر لهم ، وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن سبب البخل نسيان أصل المال ، إذ أن البخيل يحسب أن ما يأتى إليه من مال إنما هو بجهوده وكسبه فقط ، وليس فضلا من الله ، وينسى أن الله سبحانه وتعالى هو المعطى المانع ، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ، وأن الرجلين يسعيان ويتخذان الأسباب ، فتأتى جائحة لهذا تأكل الأخضر واليابس ، وينجو مال ذاك ، والله على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ، ولذا بين الله سبحانه أن المال الذى يجىء إليهم إنما هو بفضل من الله سبحانه وتعالى ، ولذلك قال يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، فهو يبين لهم أن المال مال الله تعالى ، وأن الله تعالى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء .

والضمير فى قوله تعالى : « هُوَ خَيْرًا لَهُمْ » تأكيد لمعنى البخل المفهوم من قوله تعالى يبخلون ، ونرى أن الضمير ضمير الفصل لتأكيد نفى الظن فى الخيرية .

وقد بين سبحانه أنه شر لهم ، فقال سبحانه : « بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ » وفى إعادة الضمير ، وذكر الجملة الاسمية تأكيد لمعنى الشر فى البخل ، والبخل شر فى الدنيا وفى الآخرة ، وذلك لأنه يدفع إلى الحقد فى الدنيا ، والحقد فى الآحاد يؤدى إلى النزاع المستمر ،

وتقطع العلاقات الأدبية ، وهو فى الجماعات يؤدى إلى الخراب والدمار ، ولقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

«سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

٤ – التطويق إما من الطاقة ، والمعنى سيكلفون أقصى ما يطيقون ليخسروا المال الذى بخلوا به يوم القيامة ، ولكنهم لا يملكون فى هذا اليوم من أمرهم شيئاً ، فلا يستجيبون لنداء ، ولا لكلام ، لأنهم لا يستطيعون ، وذلك على حد قوله تعالى : « وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » .

وقد يكون وهو الأرجح من الطوق ، والمعنى أنه سيكون ما بخلوا به طوقاً فى أعناقهم ، وغلا فيها يشعرهم بما كان منهم فى الدنيا ، وهو طوق مؤلم ، مثله النبى صلى الله عليه وسلم بثعبان ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع(١) أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بِلِهزِمتيه(١)، يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى : « سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

والنص القرآنى والحديث النبوى استعارة تمثيلية لإحاطة البخل بصاحبه يوم القيامة ، وإنها إحاطة إيلام ، وفيها بيان أن السعادة الوقتية للاكتناز والبخل فى الدنيا ستكون يوم القيامة بؤساً شديداً وشقوة وإيلاما .

٥ – بهذا النص الكريم تبين قبح البخل ، ويتبين مقام الإنفاق فى سبيل الله . ولكن ما حد البخل ؟ وما حد السرف ؟ وبهذين الحدين يتبين الإنفاق الحلال والقصد .

لقد قرر العلماء أن الإنفاق فى سبيل الله تعالى لا إسراف فيه قط ، ولو كان بكل المال ، وأنه يروى أن عمر بن الخطاب تبرع فى إحدى الغزوات بنصف ماله ، وأن أبا بكر الصديق تبرع بكل ماله ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : ما أبقيت لأهلك ؟ فقال صديق هذه الأمة : « الله ورسوله » . وقد كان ذو النورين عثمان بن عفان يجهز الجيش كله أحيانا ، كما فعل فى ساعة العسرة ، ولم يعد ذلك إسرافاً ...

وقد اتفقوا أيضاً على أن الامتناع عن الإنفاق فى سبيل الله تعالى فى عسرة الدولة ، ومداهمة الأعداء لها ، بخل بل هو أقبح البخل وأشده ، ولذلك أجاز الفقهاء فرض

---

(١) الشجاع : هو الثعبان الذكر الذى يقوم على ذنبه ويواثب الراجل والفارس . والأقرع هو الذى يكون أملس الجلد كثير السم ، والزبيبتان علامتان سوداوان فوق عينيه ، وهما تكونان لأخبث الحيات .

(١) اللهزمتان بكسر اللام والزاى : شدقاه .

ضرائب إذا داهمت الأمة الإسلامية الأعداء وامتنع الأغنياء عن الإنفاق ، وهذا النوع من البخل هو المقصود بهذا النص الكريم .

وقد اتفقوا أيضاً على أن كل درهم ينفق فى معصيةهو إسراف ، والخلاصة أن الحد ما بين الإسراف والبخل هو الإنفاق فى غير ما أمر الله تعالى ، ولذلك يقول ابن عباس : إنفاق ألف فى سبيل الله لا يكون إسرافا ، وإنفاق درهم فى معصية يكون إسرافا . .

«وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» .

٦ — هذا النص الكريم يفيد أربعة معان تؤكد وجوب الإنفاق فى سبيل الخير ، والجهاد فى سبيل الله تعالى :

المعنى الأول ــ أن المال كله لله تعالى ، فهو الذى أعطى كما عبر سبحانه وتعالى : بما آتاهم الله من فضله ، وأن مآل المال إليه سبحانه وتعالى فى ضمن ما يئول إليه كل شىء فى هذا الوجود ، بلا استثناء مطلقا ، ومن يبخل لورثة يرثونه ،فليعلم أن الميراث كله لله تعالى ، وأنه سيعطيهم إن أراد سبحانه ، وإن لم يرد لهم عطاء فسينفقونه إسرافا وبداراً .

والمعنى الثانى ــ هو بيان سلطان الله تعالى على كل ما فى الوجود ، فهو ملكه ، وهو الذى يئول إليه ، وفى ذلك بيان كمال سلطانه ، وتأكيد لمعنى أنه المعطى الوهاب ، والقوى الرزاق المتين ، ولذلك لم يعبر عن الميراث بأنه ميراث الأموال التى نعرفها ، بل ميراث كل ما حوته السماء وما حوته الأرض .

والمعنى الثالث ــ أن العطاء الذى يعطيه الله تعالى بعض عباده ، ويختصهم به يوجب عليهم تكليفات مالية فيه ، فإذا كان سبحانه وتعالى قد ابتلى الفقراء بالفقر ، فقد ابتلى الأغنياء بالمال ، وأوجب عليهم أن يعطوا ، وهم محاسبون على مالهم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، وقد فهم هذا من ذكر علم الله تعالى الدقيق العظيم ، ولذلك قال سبحانه وتعالى « والله بما تعملون خبير » .

والمعنى الرابع ــ أن الجزاء سيكون شاملا كاملا ، لأن علم الله دقيق لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

ولذلك عبر سبحانه عن علمه بأعمالنا بأنه خبير ، والخبرة هى العلم الدقيق الشامل .

ولقد كان الشح فى موضع الإنفاق يسرى إلى المسلمين من اليهود الذين كانوا يجاورونهم ، ولذلك ذكر بعض شنائع اليهود لينفر المسلمون منهم ، ولا يقلدوهم فى خساستهم ، فقال سبحانه وتعالى : « لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ » .

٧ — لقد كان اليهود يحرضون المؤمنين

على الشح وعدم الإنفاق فى سبيل الله تعالى بطرق شتى ، وكانوا يحاولون أن ينالوا من إيمان أهل الإيمان ، فلما نزل قوله تعالى : « مَنْ ذا الَّذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً » أخذوا يتهكمون على القرآن ، وعلى دعوة الرسول ، ويصفون الله سبحانه بما لا يليق ، وذلك ليوهنوا قلوب المؤمنين ، ويشككوهم فى دينهم ، أو ليبعثوا فيهم روح الشح. ويروى فى ذلك عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » جاءت يهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ربك فقير يسأل عباده القرض ، ويظهر أن ذلك قد تكرر منهم ، وتجرءوا به على ذات الله سبحانه ، أو اتجهوا إلى تكذيب ما فى القرآن بالتهجم على ما اشتمل عليه فى هذا المقام ، ولقد بين سبحانه أنه عليم بقولهم علم من يسمع القول ، ولذلك قال سبحانه : « لقد سمع الله قول الذين قالوا . . » وفى هذا التعبير بيان أن الله تعالى مطلعٌ عليهم ، ومراقب لهم مراقبة من يستمع إليهم ، وفى ذلك من التهديد ما فيه ، إذ أنه إشعار بأن ذا الجلال القوى القهار القادر على كل شىء والذى يملك الوجود ومن فيه ومافيه ، مستمع لما يقال فى شأنه ، وما يتجرءون به عليه ، كما يقول القائل لمن يجده يتجرأ على عظيم : إنه يسمع قولك ويعلم به ، فارتقب عواقب ما تفعل ، واستشعر الهيبة والمخافة والخشية : « وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وقد عقب سبحانه ذلك بنتائج تلك المراقبة ، وصرح بالتهديد الشديد فى قوله تعالى : « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ » .

٨ — فى هذا الكلام تهديد شديد لهم ، وذلك لأن المعنى : سنثبت عليهم فى سجل الله تعالى قولهم هذا وتجرؤهم عليه سبحانه ، وليس المراد مجرد الكتابة ، بل المراد نتيجتها وهو الحساب عليها ، والجزاء من العذاب الأليم ، والتعبير بالكتابة كناية عن العلم المستتر الثابت الذى تترتب عليه نتائجه وثمراته ، ولما تضمنته الكتابة من معنى العقاب الرادع الذى لامناص منه عبر بالمضارع فقال سبحانه : « سنكتب ما قالوا » والتعبير بما قالوا فيه إشارة إلى ما فيه من تجرؤ على الله تعالى ، وتهجم على مقامه الأعلى سبحانه .

وقد قرن سبحانه ذلك القول الجرىء بعمل جرىء من أسلافهم ، وقد ارتضوه ، فكان من الحق أن ينسب إليهم ، وهو ما عبر عنه سبحانه وتعالى بقوله : « وقتلهم الأنبياء بغير حق » ، وذلك لإثبات جرأتهم فى الشر ، واستهانتهم بالحقائق الدينية ، وشرههم إلى الفساد ، وقد أثبت الله سبحانه وتعالى بذلك فساد فعلهم بهذا القتل الشنيع ، وفساد قولهم بذلك القول الفاسد الجرىء على الله سبحانه وتعالى .

وهنا تثار ثلاثة أمور نتكلم فيها بإيجاز :

أولها : فى قرن هاتين الجريمتين ،

وقد أشرنا إلى أنهما من نوع واحد ، وهو التجرؤ على الله سبحانه وتعالى ، فالقديمة تجرؤ على رسالة الله ، والثانية تجرؤ على ذات الله ، وبذلك يكونون قد عتوا عتواً كبيراً ، وضلوا ضلالا بعيداً .

ثانيها : أن نسبة القتل إلى الحاضرين صحيحة لأنهم رضوا به ، وإن لم يكونوا قد باشروه ، ومن رضى بجريمة فقد فعلها ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

وثالثها : أنه وصف قتلهم للنبيين بأنه بغير حق — مع أن هذا النوع من الإجرام لا يمكن أن يكون بحق أبدا ، وذلك للإشارة إلى شناعة أفعالهم ، وعظم شرهم ، وأنهم لا يبالون أكان فعلهم فى موضعه أم فى غير موضعه .

وقد قلنا إن هذه الكتابة هى للعقاب ، وقد قال سبحانه بعد ذلك مصرحاً بالعقاب :

« وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ »

٩ — الذوق هو الإحساس ، وهو هنا الإحساس بالألم ، والأصل فى الذوق أن يكون فى أمر مرغوب فى ذوقه وطلبه ، وهو هنا للألم ، فالتعبير فيه تهكم عليهم ، كما قال تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » والحريق النار الملتهبة ، وهذا الكلام فيه إيجاز حذف ، إذ أن السياق تضمن حذف كلمات دل فيها ما ظهر على ما طوى ، إذ المعنى : سنكتب ما قالوا وما فعلوا ونلقيهم فى جهنم وبئس المصير ، ونخاطبهم وهم يصلون نارها بقولنا : ذوقوا عذاب تلك النار الملتهبة وآلامها ، وذلك مثواهم ، وقد صرح سبحانه بالسبب فى ذلك العذاب الأليم ، وإن كان ما مضى دالا عليه فقال :

« ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

١٠ — أى ذلك العذاب الشديد الأليم بسبب ما قدمت أيديكم وما تكلمتم به ، والتعبير بما قدمته ، وتخصيص الأيدى بالذكر ، للدلالة على التمكن من الفعل وإرادته ، ولأن أكثر الشر يكون ببطش اليد ، ولأن نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق به ، والاتصال بذاته .

وإذا كان ذلك العذاب لأجل هذا العمل ، فهو لا ظلم فيه ، وفوق ذلك فإنه لو أهمل حسابهم لكان الله ظلاما لعباده بتسوية المحسن بالمسىء ، فكان العذاب لينفى عن ذات الله تعالى الظلم ، ونفى الظلم بصيغة المبالغة فقال : « وأن الله ليس بظلام للعبيد » للإشارة إلى أن أشد الظلم وأبلغه وأقصاه بأن يتساوى المحسن والمسىء ، وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن ذاته الكريمة تلك التسمية ، كما قال تعالى : « أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ »؟ . ربنا إننا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .

عبد الوهاب حمودة

دم المسلم حرام إلا لثلاث

> روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
>
> لا يحل دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث :
>
> الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة .

المعنى :

يشير الحديث إلى أن هذه الخصال الثلاث هى حق الإسلام التى يستباح بها دم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والقتل بكل واحدة من هذه الخصال الثلاث متفق عليه بين المسلمين .

فأما زنا الثيب فأجمع المسلمون على أن حده الرجم حتى يموت ، وقد رجم النبى صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية .

وكان الله تعالى قد أمر أولا بحبس النساء الزوانى إلى أن يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، ثم جعل الله لهن سبيلا . ففى صحيح مسلم عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خذوا عنى خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم .

وقد أخذ بظاهر هذا الحديث جماعة من العلماء ، وأوجبوا جلد الثيب مائة ثم رجمه كما فعل علىٌّ بشُراحة السمدانية وقال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويشير إلى أن كتاب الله فيه جلد الزانيين من غير تفصيل بين ثيب وبكر .

وأما النفس بالنفس فمعناه أن المكلف

إذا قتل نفسا بغير حق عمداً فإنه يقتل بها ، وقد دل القرآن على ذلك بقوله تعالى : (وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) .

ويستثنى من عموم قوله تعالى : (النفس بالنفس) صور : منها أن يقتل الوالد ولده ، فالجمهور على أنه لا يقتل به ، وصح ذلك عن عمر رضى الله عنه .

وقال مالك إن تعمد قتله تعمداً يشك فيه مثل أن يذبحه فإنه يقتل به ، وإن رماه بسيف أو عصا لم يقتل .

وقال الليث يقتل بقتله بجميع وجوه العمد .

ومنها أن يقتل الحر عبدا ، فالأكثرون على أنه لا يقتل بعبد غيره دون عبده وهو قول أبى حنيفة وأصحابه . وقيل يقتل بعبده وعبد غيره وهى رواية عن الثورى وقول طائفة من أهل الحديث .

ومنها أن يقتل المسلم كافراً ، فإن كان حربيا لم يقتل به بغير خلاف ، لأن قتل الحربى مباح بلا ريب وإن كان ذمياً أو معاهداً فالجمهور على أنه لا يقتل به أيضاً .

وفى صحيح البخارى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يقتل مسلم بكافر) وقال أبو حنيفة وجماعة من فقهاء الكوفة يقتل به .

ومنها أن يقتل الرجل امرأة فيقتل بها بغير خلاف . وفى كتاب عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل يقتل بالمرأة .. وصح أنه صلى الله عليه وسلم قتل يهودياً قتل جارية .

وأما التارك لدينه المفارق للجماعة فالمراد به من ترك الإسلام وارتد عنه وفارق جماعة المسلمين ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من بدل دينه فاقتلوه . ولا فرق فى هذا بين الرجل والمرأة عند أكثر العلماء . ومنهم من قال لا تقتل المرأة إذا ارتدت كما لا تقتل نساء أهل الحرب فى الحرب وإنما تقتل رجالهم .

وهذا قول أبى حنيفة وأصحابه وجعلوا الكفر الطارىء كالأصلى ، والجمهور فرقوا بينهما وجعلوا الطارىء أغلظ لما سبقه من الإسلام ، ولهذا يقتل بالردة عنه من لا يقتل من أهل الحرب كالشيخ الفانى والزمن والأعمى ولا يقتلون فى الحرب .

وقوله صلى الله عليه وسلم (التارك لدينه المفارق للجماعة) يدل على أنه لو تاب ورجع إلى الإسلام لا يقتل لأنه ليس بتارك لدينه بعد رجوعه ولا مفارق للجماعة .

وأما المرتد فإنما قتل لوصف قائم به فى الحال وهو ترك دينه ومفارقة الجماعة فإذا عاد إلى دينه وإلى موافقة الجماعة فالوصف الذى أبيح به دمه قد انتفى فتزول إباحة دمه . وقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد فأراد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم

فاقتلوه . وفى رواية : فاضربوا رأسه بالسيف كائناً من كان .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قتل دون ماله فهو شهيد)

وروى الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدار حرمك فمن دخل عليك حرمك فاقتله .

ومنها قتل الجاسوس المسلم إذا تجسس للكفار على المسلمين . وقد استدل من أباح قتله بقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حق حاطب بن أبى بلتعة لما كتب الكتاب إلى أهل مكة يخبرهم بسير النبى صلى الله عليه وسلم إليهم ويأمرهم بأخذ حذرهم فاستأذن عمرو فى قتله فقال : إنه شهد بدرا . فلم يقل إنه لم يأت بما يبيح دمه ، وإنما علل بوجود مانع من قتله وهو شهوده بدرا ومغفرة الله لأهل بدر ، وهذا المانع منتف فى حق من بعده .

وكذلك يقتل لو استهان بالمصحف وألقاه فى القاذورات ، أو جحد ما يعلم من الدين بالضرورة كالصلاة .

وخلاصة هذا الحديث أنه لايستباح دم المسلم إلا بإحدى ثلاث خصال : إما أن يترك دينه ويفارق جماعة المسلمين ، وإما أن يزنى وهو محصن ، وإما أن يقتل نفسا بغير حق .

كل ذلك للقضاء على الشذاذ المنحرفين فى أخلاقهم الخارجين على مجتمعهم .

بنزين
زيوت
تشحيم
الجمعية التعاونية للبترول
تخدمك فى كل مكان

محمد البنا

تساهل المسلمين
مع العلماء من كل ملة ....

عرف المسلمون من يوم أن سطعت عليهم شمس الإسلام أن العلم هو ميزان الحياة فإذا نهض العلم فى أمة نهضت إلى أعلى عليين وإن هوى سقطت الحياة إلى أسفل الإدراك. وهم يريدون العلم بأوسع معانيه لا يقصرونه على ناحية من نواحيه فالإسلام يفرض على أهله النظر فى السموات والأرض وكتابه يقول (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) .

ويرفع من شأن العلماء حتى يجعلهم هم الذين يعرفون ربهم ويخشونه حق خشيته (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ويقول الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فقيه واحد أفضل على الشيطان من ألف عابد) ويكاد يكون هذا المعنى فى الإسلام من الأمور المقررة التى يستوى فى معرفتها كل مسلم بل يشهد بها المنصفون من غير أبناء الإسلام فلا نطيل بذكر الشواهد وإنما يعنينا أن نقول إن الدين الذى يفعل هذا يدفع بأهله قهراً إلى طلب العلم والعلم يشرف بهم على أطوار من الترقى لا نهاية لها وينقلهم من الفكر الساذج الذى تلقوه عن آباء أضلتهم ظلمات الجهالة إلى آيات من المعارف بينات تفهمها العقول ويقبلها أولو الألباب وفى سبيل ذلك قالوا الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها وفى حديث منسوب للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت) فلا يضير المسلم أن يتلقف الحكمة من فم أى إنسان مهما كانت صفته فالأقوال عنده تقدر بقيمتها لا بقائلها والعلوم توزن بفائدتها لا بمعلمها وقد لقى العلماء فى كل ملة من تسامح المسلمين وعنايتهم بهم ما لم يلقوه

فى دين قبل الإسلام ولا فى حقبة من أحقاب البشرية والتاريخ فياض بالسير حافل بالعبر وكل ذلك يشهد للمسلمين برحابة الصدر وتقبل العلماء بقبول حسن والاحتفال بعلمهم وإعطائهم من الحرية ما لم يكن ليطوف بخيالهم وإنك لتقرأ فى سيرة المسلمين الأولين فتعجب ويروعك أن هؤلاء الناس جعلوا العلم فى أعلى الصفات التى يتحلى بها الإنسان فهم لا يبالون دينه ولا وطنه وإنما يقولون إنه عالم فيفتحون صدورهم للاستفادة منه ويجعلون قلوبهم أوعية لكل ما يهديهم إليه أو يحمله لهم من معرفة تضىء لهم سبيل الحياة . فإنهم مسوقون بما فرض دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد ولا يرضيهم من ذلك إلا أن يبلغوا الغاية ولا يقنعهم إلا أن يصلوا إلى النهاية ولا يتوفر شىء من ذلك إلا بالعلم فهو مدفوعون إلى طلب العلم وتلمسه فى كل مكان وتلقيه من أى لسان فإذا لاقاهم العالم فى أى طريق أو عثروا عليه فى أى جيل أو ظهر لهم من أى قبيل رحبوا به ترحيباً بل سعوا إليه سعياً حثيثاً وشدوا به أواصرهم وعقدوا عليه خناصرهم لايسألون ما عقيدته ؟ إذا نفعتهم حكمته ويروى بعض الرواة عن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه (خذ الحكمة ولومن أهل النفاق) وما بالهم لا يفعلون وقد قال ربهم (يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ثم جعل البشرى لعباده المؤمنين ((الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) .

ولم يكن بالصين مسلم على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد أمر بطلب العلم ولو بالصين فى حديث من طرق كثيرة يقوى بعضها بعضا ومع ذلك فإن كان فى سند لفظه مقال فسند معناه متواتر فإن المعنى فى القرآن نفسه والله تعالى يفضل العلم وأهل العلم بلا قيد ولا تخصيص والمسلمون لم يكن عندهم ميزان للإنسان إلا العلم حتى كان من كلماتهم المأثورة (قيمة كل امرىء بما يحسنه) .

ويا لائمى دعنى أغالِ بقيمتى
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وقد تعمق المسلمون الأولون معنى العلم ورأوا فيه نعيم العقل والعقل قوة من أفضل القوى الإنسانية وقد خلق لها العليم الحكيم نعيما كما منح لكل قوة سواها نعيما وراحة ولا شىء أروح للإنسان من كشف المجهول وإحراز المعقول وقد سمح الإسلام لمعتنقيه أن يتمتعوا فى هذه الحياة بنعيمها مع القصد والاعتدال ولا يمكن أن يطلق العنان للحواس تتمتع بمشتهياتها ولا يطلق سراح العقل يسبح فى مملكة العلم لينال أربه وقد رأينا كثيراً من المسلمين يشتغلون بأنواع العلوم ويسيحون

فى الأرض لطلبها لا يبغون من وراء ذلك مقصداً ولا يطلبون جزاء حتى كأن العلم أصبح عندهم حاجة فى نفسه وإنه ليشغل أحدهم عن حاجات حسه وقد قال إمام جليل من أئمة المسلمين (طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا يكون لله) .

وإنك لترى فى سيرة المسلمين الأولين صوراً رائعة من إجلال أهل العلم من كل ملة والأخذ عنهم من أى نحلة فإذا عرضت عليك هذه الصور فإنما أضرب الأمثال للناس لعلهم يعقلون وليس إلى استقصاء مآثر المسلمين فى هذا من سبيل .

فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر واستولى بجيشه على الاسكندرية بعد أن لحق الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى بزمن قليل والإسلام فى طلوع فجره وتفتح نوره فكان من بقايا ما تركت الأزمان الأولى رجل مسيحى من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوى وكان فى بدء أمره ملاحا يعبر الناس بسفينته وكان يميل إلى العلم بفطرته فإذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى إلى مدارستهم ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم بعد أن بلغ أربعين سنة فنال منه مالم ينل الناشئون فيه وأحسن من العلم فنونا كثيرة حتى أصبح معدوداً من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته : ويقول كثير من المؤرخين الغربيين والمسلمين إن عمرو بن العاص سمع به فاستدناه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها واشتهر حتى قال أحد المؤرخين (إن المحبة التى نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوى ترينا مبلغ ما يسمو إليه العقل العربى من الفكر الحر والرأى العالى بعد أن أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل فى التوحيد المحمدى فقد أصبح بعد ذلك على غاية من الاستعداد للجولان فى ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع : ننتقل بك إلى شهادة رجل أجنبى بتسامح المسلمين مع العلماء وعرفان قدرهم من التوقير والتعظيم قال المستر درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الأمريكان (إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورفعوهم إلى المناصب فى الدولة حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه) وقال فى موضع آخر كانت إدارة المدارس مفوضة مع نبل الرأى وسعة الفكر من الخلفاء إلى النسطوريين تارة وإلى اليهود تارة أخرى ولم يكن ينظر إلى البلد الذى عاش فيه العالم ولا إلى الدين الذى ولد عليه بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

وقد كان لكثير من هؤلاء العلماء المليين حظوة عند الخلفاء والمسلمين فقد كان طبيب الخليفة المنصور مسيحيا هو ابن بختيشوع وقد علت منزلته عند الخليفة لأنه كان متمسكا بدينه محافظا على قواعده ومما يؤثر فى ذلك أن

الطبيب كانت له زوجة عجوز ينصرف عنها الرجل فأشفق الخليفة عليه وأنفذ له بثلاث جوار حسان فردهن وقال إن دينى لا يجيز لى أن أتزوج غير زوجتى ما دامت على قيد الحياة فكان ذلك سبباً فى اعتراف المنصور بمنزلته حتى قدمه على وزرائه .

وقد كان المسلمون يحتملون من العلماء مالا يطيقونه من سواهم فكان العلم يغفرلهم كل زلة ويمحو كل خطيئة حتى ولو كانت هذه الزلة تتناول الخليفة نفسه فقد كان الطبيب بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوما فأجلسه بجانبه وكان عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل إلى النيفق (وهو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخلط فى عقله) يحتاج إلى الشد يعنى شد الوثاق عليه حتي لا يؤذى الناس فقال بختيشوع : إذا عبث بفتق دراعة طبيبه حتى بلغ النيفق شددناه يعنى كما فعل المتوكل فضحك المتوكل حتى استلقى ولم يهج غضب المتوكل ولا أصاب طبيبه العالم المسيحى بأذى لأن نفسه تأبى أن تؤذى العلم أو تعصف بكرامة العالم .

ولم يكن خواص المسلمين حتى الصوفية منهم والزهاد يأنفون أن يتلقوا تهذيبهم وثقافتهم من كل صنف من أصناف البشر وهنا نترك الحديث لأحد كبار الزهاد فى عصره بل فى المسلمين قاطبة وهو العابد العارف بالله إبراهيم بن أدهم إذ يقول رضى الله عنه : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت : يا سمعان منذ كم أنت فى صومعتك . قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفى وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك الحمصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال إنهم يأتون فى كل سنة يوماً فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ويعظموننى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الأبد فوقر فى قلبى المعرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حمصة فقال ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع بقوته ونحن أحق به ثم قالوا : ساوم : قلت عشرون ديناراً فأعطونى عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال ياحنيفى ما الذى صنعت قلت بعته منهم بعشرين ديناراً قال أخطأت لو طلبت عشرين ألفاً لأعطوك ثم قال : هذا عز من لا تعرفه فانظر كيف يكون عز من تعبده ؟ يا حنيفى أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة .

حول القرآن

علمُ القرآن

(٢)

١ — فى المقال السابق بينا كيف جمع القرآن ، وكيف دون ، وكيف نقل إلى الأخلاف متواتراً جيلا بعد جيل ، حتى إنا الآن نقرؤه كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكنا بذلك نرد إفك الذين اتخذوا القرآن غرضا يصوبون إليه سهامهم ، وإنها لمفلولة ، ولا ندرى لماذا يُسَوِّغ أولئك الهدامون لأنفسهم الكلام فى تواتر القرآن ، وهم ينكرون رسالات السماء جملة وتفصيلا ؟ لعلهم أرادوا أن يكيدوا للإسلام خاصة ، بهدم القرآن عموده ، لأن مبادئه الصريحة القاطعة هى التى تتصدى لبناء مجتمع فاضل تجرى فيه الأمور على سَنَن العدالة بكل شعبها ، وتحفظ فيه الكرامة الإنسانية ، وتجرى فيه الرحمة والمودة محل الغصب والإكراه والسلب والدماء وتلك حقائق تقطع السبيل على دعواهم أنهم يستطيعون أن يجعلوا الأرض تفيض على ابن الأرض لبناً وعسلا .

والآن نتمم بإيجاز ما بدأنا ، ونرد بإشارات بقية ما قالوا ، وإن كان كلامنا يعرضنا لأن نقول بعض التافه من القول ، لأنا مضطرون اضطراراً لأن ننزل إلى تفكيرهم الواهن ، وأن نمس جدار بنائهم الواهى ، ولا نمس من ذلك إلا بالقدر الذى يمنع كلامهم من أن يصل إلى ضعاف المقول أمثالهم ، ومن بعد ذلك نذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ونتجه إلى ذكر الحقائق الاجتماعية فى القرآن الكريم .

٢ — لقد قالوا إن القرآن يناقض بعضه بعضاً فى أصل خلق الإنسان ، فقال مرة إنه خلق من طين وقال مرة أخرى إنه خلق من ماء مهين ، والفرق بين الطين والماء واضح ، وكلا الخبرين فى أنظارهم السقيمة غير صحيح .

ونقول لهم إن التناقض فى عقولهم التى لا تستطيع أن تدرك حقيقتين متلاقيتين ، وقد جمع القرآن بين الحقيقتين فى مجموعة آيات واحدة متناسقة ، فقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ

نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ » .

وإن تلك النطفة التى وضعها سبحانه فى قرار مكين لا يترك حتى تخرج وديعة الله الإنسانية إلى هذا الوجود خلقاً سوياً هى التى قال فيها سبحانه إنها ماء مهين ، لبيان قدرة الله تعالى التى تجعل من هذا الماء إنساناً قويماً قوياً .

فالآيات الكريمة تبين نوعين من الخلق والتكوين ، النوع الأول الخلق الأصلى والتكوين العام لجميع الأحياء على هذه الأرض والثانى هو خلق كل إنسان فى ذاته ، وذكر أن الخلق الأول ينتهى إلى سلالة تتدرج وتنمو فى أصلها منها من الطين ، وكلتا الحقيقتين صادقتان أيدهما العلم التجربى والنظرى وليس علم الكتاب بمحتاج إلى تأييد علمى ، ولكنا محتاجون إلى الإيمان به ، وتقريبه إلى مداركهم ، ورفع الأهواء المردية والأفكار السقيمة .

وقد قرر العلم النظرى والتجربى أن العالم كان من السديم الذى يشبه الدخان ، ومن هذا السديم تكونت الكتلة الشمسية ومن الكتلة الشمسية انفصلت الأرض ، وأخذت تبرد ، حتى تكونت القشرة الأرضية ، وفى القشرة الأرضية نبت النبات ، ووجدت الأحياء الأرضية ، وبذلك يكون كل الأحياء قد تكونوا من تلك القشرة الطينية ، فهل خالف القرآن هذه الحقيقة ؟

ولقد سبق القرآن العلم إلى تقريرها ، فقال سبحانه : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ، وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

واليوم فى تلك اللغة الإلهية دور من أدوار التكوين التى أنشأ الله فيها السموات والأرض ، وأليس التعبير عن السماء بأنها دخان هو تعبير العلماء من بعد نزول القرآن بأكثر من اثنى عشر قرناً بالسديم ؟ .

ولقد قرر العلماء الذين اختصوا فى طبائع الأرض أن فى الطين أكثر من مائة عنصر هى غذاء الأحياء ومنه مادة تكوينهم ، والماء كان كونه الله تعالى بعد أن انفصلت الأرض عن السماء ، كما قال تعالى : « أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » .

ولقد تطاول أولئك الهدامون إلى مقام التنظيم الاجتماعى للقرآن ، فزعموا أن القرآن

الكريم أقر الرق ، وحسبه ذلك لترفض أحكامه ، ويهدم نظامه ، ولكن أولئك الهدامين لم يقرءوا القرآن ، بل لقنوا طريقة الهدم ، فحكوها من غير بينة ، ونحن نقول الحقيقة الصادقة بياناً لمن يخدعون بأقوالهم ، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين ... إن القرآن الكريم لم يذكر الرق قط بعبارة صريحة ، ولا غير صريحة ، ولكن كل ما يدل على الرق فيه هو أمره المستمر بالعتق ، فالأمر بالعتق هو الدليل على وجود الرق فى عصر القرآن ، وعلى ذلك يجب أن نعلم أن القرآن ولو أنه اعترف بوجود الرق كحقيقة واقعة قد استنكره ، ولذلك أمر بالعتق أمراً مطلقاً ، فقال سبحانه : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ » والتعبير عن العتق بأنه فك رقبة إيماء إلى أن الرق نظام غير طبيعى لأنه غل فى رقبة يجب فكها منه ، وأن الأصل فى هذه الرقبة ألا يكون فيها ذلك الغل الثقيل ، وفوق ذلك فإن الأمر بالعتق فى ذاته استنكار صريح لمعنى الرق .

٤ — وأمر الله سبحانه وتعالى بالعتق فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، فأمر مالكى الرقاب بأن يعقدوا مع الذين أصيبوا بذلك الغُلِّ عقد مكاتبة ، وهو أن يتعهد المملوك بدفع قيمته فى سبيل حريته ، ويترك له الحرية ابتداء ليسعى فى الحصول على تلك القيمة .

وأمر سبحانه بعتق الرقاب فى مناسبات كثيرة ، واعتبره كفارات لمعاص كثيرة ، فمن قتل مؤمناً خطأً فكفارته عتق رقبة مؤمنة ، ومن قال امرأته كظهر أمه لا يقربها إلا إذا أعتق رقبة ، ومن حلف يميناً وأراد الحنث فيها فكفارته عتق رقبة مؤمنة .

وصرح النبى صلى الله عليه وسلم بأن من أفطر عمداً فى يوم من أيام رمضان من غير عذر فالكفارة عتق رقبة إن كان يملك رقبة .

وجعل القرآن سهماً من سهام الزكاة لشراء العبيد وإعتاقهم ، وكان الصحابة والتابعون من بعدهم ينفذون ذلك .

٥ — وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بإكرام الرقيق ، وسماهم بتلك التسمية بياناً لضعفهم ، ووجوب عونهم ، ونهى عن أن يسموا عبيداً ، وأن يسمى ملاك الرقاب سادة ، بل سمى الاثنين موالى ، وأوجب أن يأكل الرقيق مما يأكل من يملك رقبته ، ويلبس مما يلبس ، وكان الصحابة يأكلون مع مواليهم على مائدة واحدة ، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأثابه وجزاه عن الإسلام خيراً رأى قوماً يأكلون وعبيدهم لا يأكلون معهم ، فامتنع عن أن يأكل من مائدتهم ، وقال : « لا خير فيكم ، إذا لم تطعموهم مما تطعمون » .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى عن إيذاء العبيد ، وقال عليه السلام : « من

لطم عبده فكفارته عتقه» ، ولذلك قرر الإمام أحمد فى رواية عنه أن العبد يعتق بمجرد لطمته .

٦ — هذا هو القرآن وحكم النبوة فى أمر العتق ، وقد يقول قائل : ولكن الثابت أن القرآن لم يمنع الرق منعاً قاطعاً ، وحروب المسلمين كان يجرى فيها الرق فى عصر الراشدين الذين تلقوا الرسالة المحمدية ونفذوها ، كما أمر الله تعالى ، وكما أمر رسوله الأمين .

ونقول فى الإجابة عن هذا السؤال : إن نصوص القرآن تتجه بلاريب إلى تصفية الرق تصفية تدريجية ، ولكنه لم يمنعه منعاً صريحاً ، ولكن محمداً والصحابة من بعده قصروه على حال حرب الإسلام العادلة ، ونقول مع ذلك إن نص القرآن الكريم يؤدى إلى المنع حتى فى الحروب ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى أسرى الحروب، الذين يكون الرقيق من بينهم : « فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ، فَإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » فكان التخيير فى الأسرى بين المن والفداء ، ولم يجىء فيها التصريح بالرق ، وفى قصر التخيير على هذين الأمرين فقط إشارة واضحة إلى أنه لا تخيير فيما وراءهما.

والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينشىء رقاً على حز قط ، وقد أعتق العبيد الذين كان يملكهم بحكم ما قبل الإسلام ، وقد حدث أن النبى صلى الله عليه وسلم قد سبى من الذرية والنساء عدداً فى غزوة بنى المصطلق ، فاقتسم الغزاة أولئك السبايا بينهم ، ورأى النبى أنه إن نهاهم أو أجاز قتلهم كان الشريعة الأبدية وهو يريد أن يزيل رق هؤلاء السبايا ، فتصرف تصرفاً هو أقصى الحكمة والنبل وشرف القصد ، فتزوج جويرية بنت الحارث كبير القوم ، ولما تسامع الغزاة ذلك أطلقوا من فى أيديهم ، وقالوا : كيف نسترق أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقالت أم المؤمنين عائشة : « ما كانت امرأة خيراً لقومها من جويرية بنت الحارث » : « ولقد عتق بزواجها أكثر من مائة بيت من قومها » .

٧ — وقد يقول قائل : ولماذا كان الاسترقاق من بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ ولماذا لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بمنع الرق ، ولم يصرح القرآن بالنهى عنه ؟ .

والجواب عن السؤال الأول أن الصحابة استرقوا فى الحرب لأن ذلك كان من قبيل المعاملة بالمثل ، إذ كان الذين يحاربونهم يسترقون منهم ؛ ولابد من دفع الاعتداء بمثله والله سبحانه وتعالى يقول : « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ » ولو أن المسلمين لم

يسترقوا منهم كما كان هم يسترقون لأدى ذلك إلى كَلَب أعداء الإسلام عليهم واشتدادهم ولا يكون ذلك عدلا .

ومع هذا فإن المسلمين التزموا تقوى الله فكانوا يعاملون الرقيق تلك المعاملة الكريمة التى شهد بها كتاب الغرب ، وإنه لو اتبعت الأوامر الدينية على وجهها ما بقى فى غل الرق أكثر من أسرى الحرب التى استرقوا فيها .

والجواب عن هذا السؤال الثانى : أن القرآن لو نهى عن الرق نهياً صريحا لأدى ذلك إلى ألا يسترق المسلمون أبداً ، وبذلك يأكلهم الأعداء ، ويؤذون ولا يرد الإيذاء بمثله ، إذ أنهم يطيعون فى أمر الرق ما ينهاهم عنه القرآن نهياً صريحاً ، ويعتبرون ذلك من تقوى ، ولذلك ترك لهم الباب متفوحاً فتحاً ضيقاً ، على أن ينفذوا أوامر الله تعالى بالعتق فى مواطنه الكثيرة ، وبالإكرام الذى لا قيد يقيده ، وبمنع الأذى منعاً مطلقا ، ولقد كانت آخر وصايا النبى صلى الله عليه وسلم قوله عليه السلام : « اتقوا الله فى الضعيفين المرأة والرقيق » وإنه إذا تقرر منع الرق ، فإنه يحرم بلا ريب على المسلمين أن يسترقوا لأن ذلك يكون اعتداء ، والله سبحانه وتعالى ينهى عن الاعتداء فى الحروب ، ويقول سبحانه : « وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

٨ — هذا هو حكم القرآن فى الرق ، وهذا نظامه فى الرق ، والآن نسأل أولئك الذين يملئون أشداقهم بالطعن فى القرآن والإسلام ، ماذا صنع الروس بأسرى الحرب من الألمان ؟ وماذا صنعوا هم والأمريكان بكبار قوادهم بعد الاستسلام ؟ وماذا صنع ساستهم بعد الحرب العالمية الأولى ؟ أما الساسة والقواد فقد كانت النذالة هى التى تحكم ، ولا يحكم أى قانون إنسانى إلا قانون الغلب والغابة إن أمكن أن يدخل فى قانون الإنسان ، وإن دخل فهو من قوانين الإنسانية الفاجرة الطاغية العاتية التى تقول : « ويل للمغلوب » ولا تقول ما قاله محمد بن عبد الله ورسول الله لأعدائه بعد أن انتصر عليهم : « أقول ما قاله أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » .

وأما ما فعلوه فى الأسرى فهو الرق غير المنظم ، لقد أخذوهم أكثر من عشر سنين يعملون بغير أجر ، ويذيقونهم الوبال ، ولا يفتحون قلوبهم لأى معنى من معانى العدالة ، حتى أبيد أكثرهم ، وأكلت الأرض رفاتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محمد أبو زهرة

محمد كامل البنا

قصص علمتني

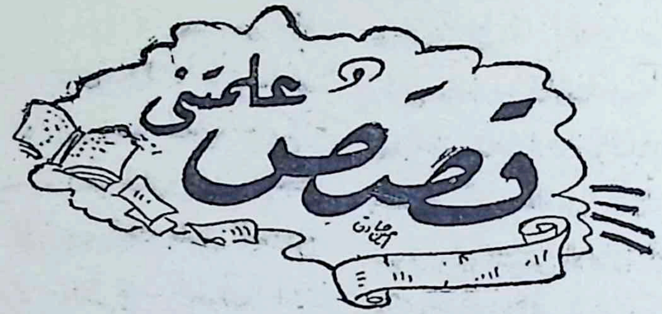

فى زهوة الشباب تكون آمال الفتى فسيحة ، ومطامعه فى الحياة لاحد لها ، فهو يسبح فى خياله ، ويبنى لمستقبله القصور الشامخة ، كأن له مع الزمن عهداً ، أن يستجيب لرغباته ، ويحقق ما يصبو إليه . .

دعيت إلى عمل حكومى فى سنة من السنين ، وما إن توليته حتى كثر الشانئون والحاسدون ، ولم يطل بى العهد فى هذا العمل ، إذ سرعان ما تغيرت الحال وغضب الحكام الجدد ، فأخرجونى ضمن عدد من الموظفين ، فتألمت كل الألم ، وثرت على ما أسميته ظلماً فادحاً ، وجرماً شنيعاً ، وضاقت بى الأرض بما رحبت ، وكنت فى ثورة الغضب أعجب من ظلم كيف يقع على ، واضطهاد كيف يوجه إلى شخصى ، وأنا لا أملك حولا ولا قوة .

وذات يوم بينما أنا سائر فى أحد ميادين القاهرة إذ بصر بى صديق قديم ، فاستوقفنى يسألنى عن حالى فانتهزتها فرصة ، وطفقت أشكو الظلم والظالمين ، والعسف والمتعسفين ، فابتسم فى وجهى — رحمه الله — وقال لى : هون عليك ولا تقنط ، واعلم أنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريده الله ، وإذا كنت ترى نفسك مظلوماً فاصبر فليس لحال دوام . ولكننى لم أقتنع فناولنى كتاباً كان يحمله وقال لى : خذ هذا واقرأ هذه القصة — وأشار إليها — وبعد ذلك سترى ماذا يكون . . . وأخذت فى سكون الليل وظلامه أقرأ القصة ، فوجدتها تتلخص فى أن صديقين من بلد واحد أحدهما يحب العدل والإنصاف بطبعه ، وثانيهما يعشق العسف والظلم .

اجتمعا فى انتخاب حاكم لمدينة هندية وسط ألوف من الناس ، وأطلق طائر من محبسه يطير على الواقفين ، حتى إذا حط على أحد منهم كان هو حاكم المدينة ، وطار الطائر حتى أدركه الإعياء ، ثم وقف على صدر الظالم الطاغية فنودى به حاكماً مدى الحياة . .

وهنأه الناس ، واختار بدوره صديقه الحميم ليكون وزيره ومستشاره ، ولكنه لم يستطع

أن يكبح جماح ظلمه ، وكان أن ارتكب الحاكم من وسائل الظلم والجبروت ما يضيق به الوصف ، وصاحبنا المستشار ضيق الصدر لا يستطيع أن يعمل شيئاً ، ومضى على هذا الحال عام ويزيد ، وإذا بالحاكم ينادى مستشاره لصحبته إلى نزهة خلوية على نهر مقوس ، فصحبه صامتاً فقال له : ألاحظ عليك فى الأيام الأخيرة أنك ضيق الصدر ، فهل فى نفسك شيء تحب أن تقوله لى ؟ فأجابه : أأنت الحاكم المطلق وأنا المستشار العاطل ، أم أنت صديقى القديم ، وأنا صديقك الحميم ؟ . قال : بل صديقك وأخوك القديم ، قال : إذن فاعلم أنى قد وصلت بى الحال إلى درجة الغليان من تصرفاتك وأعمالك ، ألا تتقى الله وتتحرى العدالة بعض الشيء ؟ . فضحك الحاكم طويلا وقال له حكمة بالغة كان لها أبلغ الأثر فى نفسى وستظل ذاكرتى تعيها وتتحدث بها حتى ينقضى العمر . . . قال له : يا أخى إن الله يريد هذا ، ولذلك وقع الطائر على لأنى عنوان الظلم والطغيان ، ولو كان يريد لهذا البلد العدالة والهدوء لنزل الطائر عليك ، وقد كنت إلى جانبى لا يفصلنى عنك فاصل ، فدعك من الخوض فى هذا ، واترك الخلق للخالق . .

قرأت هذه القصة فى وحدتى وثورتى ، فهدأت ونزل على قلبى برد من السكينة ما أحسسته من قبل ، ولا عرفت سبيله ولا مأتاه ، ولكنى شعرت به فملأنى إيماناً وتسليما ، وأخذت أحدث نفسى : إذا كان كل شيء بقضاء الله وقدره ، وإذا كان ما أعتقده أنا ظلما هو عند الخالق العظيم وقع لحكمة يعلمها جلت صفاته ، فلم الغضب والثورة ؟ ولم التمرد والعصيان ؟ فانرض بقضاء الله ، فإنه لا يغلب الأيام إلا من رضى . . . وصارت هذه قاعدتى فى الحياة بعد هذا . . . ولقد تعرضت لتجارب مختلفة تهز النفس هزاً ، فكنت كلما سولت لى النفس الأمارة أن أثور أو أغضب ذكرت تلك القصة ، فسكنت وهدأت .

وسارت الحياة فى طريقها الطبيعى ؛ وتعرضت مرة أخرى لمحن وكوارث ؛ وإذا بالنفس تضيق ، وأذكر قصة صديقى وأحاول أن أعود إليها فأجدها قد عفا عليها الزمن ، وأجد بدلا منها قصة أبقى على الزمن وأخلد . أتناول كتاباً فأقرأ فيه — وأنا فى ضائقة مالية عنيفة — أن أحد الصحابة رضوان الله عليهم كان يملك هو وزوجه قميصاً واحداً ، يرتديه فى أول وقت الصلاة ليدرك الجماعة خلف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ينفلت من الصلاة عقب التسليم ليعطى القميص لزوجته حتى تدرك الصلاة ولما يفت وقتها ، وظلا قانعين بهذا الرزق المقسوم لا يتململان ولا يشكوان ، وذات يوم سأل صلى الله عليه وسلم : ما بال فلان لا أراه يأتى إلى الصلاة ؟ قالوا : إنه يأتى كل وقت ولكنه يخرج من المسجد مسارعا ولا ينتظر . قال صلى الله عليه وسلم : فإذا جاء فقولوا له إنى أريد أن أراه بعد الصلاة . وجاء الرجل وأخبر الخبر فانتظر ورآه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن سر إسراعه بالخروج من المسجد فقص عليه قصته

فأمر أنساً رضى الله عنه أن يعطيه ثوباً ليصلى به ويترك القميص لزوجه . وذهب الرجل فأخذ الثوب وتأخر على زوجه فقلقت فلما حضر سألته عن سر غيابه ، فحكي لها ما دار بينه وبين الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم فنظرت إليه فى غضب قائلة : (ويلك أتشكو ربك لنبيه ...) ؟ .

أيها القارئ لا أكذبك أنى أحسست برعدة سرت فى نفسى ، وهزت أوصال قلبى ، فقد هانت لدى الدنيا ، وصغرت ثم صغرت حتى لم أعد أحس شيئا فيها ، وقلت لنفسى : إذا كانت الصحابية الجليلة — وهى امرأة — تنعى على زوجها أن قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصته فكيف بنا نحن ضعاف العزائم إذا شكونا ربنا لمخلوقاته الضعفاء؟ وقطعت على نفسى عهداً وميثاقا ألا أشكو من أمر أبداً ، وضرعت إلى عالم السر والنجوى أن يميننى على الوفاء بالعهد ، فهو جل علاه موفق قصاده ، وملهم المتجهين إليه الصواب.

ويدور الفلك ، ويتعرض الإنسان لشتى التجارب ويلوح للإنسان فى بعض ساعات ضعفه وقنوطه بمغريات وتهديدات وتقاوم النفس ثم تقف عند حد ، وتكاد تستسلم تحت تأثير المطالب التى لا ترحم والظروف التى لا تعرف الانتظار ، ولا يكون بين الإنسان وبين التردى فى الهوة إلا قيد شبر فأقرأ قصة الشاعر ابن أذينة شاعر الحجاز حين قصد إلى هشام بن عبد الملك ليمدحه بغية منحة يستعين بها على الحياة ، ولا يكاد هشام يراه حتى يقول له: ألست أنت القائل : إن الذى هو رزقى سوف يأتينى ؟ فيجيبه أن نعم فيقول هشام : إذن لماذا سعيت وتعبت ولم تنتظر فى الحجاز حتى يوافيك رزقك فيقول ابن أذينة : أصلح الله الأمير لقد ذكرت بعض ما كنا نسينا وتبصرت ، ورجع قافلا إلى الحجاز ويمسى المساء على هشام فإذا به يتذكر هذا الشاعر الذى جبهه وينادى خادمه ويعطيه صرة فيها عشرة آلاف ويقول له: اذهب إلى ابن أذينة فأعطه هذه وقل له إنها من أمير المؤمنين . ويجد الخادم أثر الشاعر فيصل إليه فيجده يتلو كتاب الله فيعطيه الصرة ويفتحها ابن أذينة ويرى ما فيها ، فلا يزيد على أن يقول للخادم قل لسيدك الأمير «إن الذى هو رزقى سوف يأتينى» .

قرأت هذه الحكمة: فما أشد ما رجعت إلى الرضا والاطمئنان، وما أجمل ما شاع فى جوانب نفسى الإيمان بأن الرازق هو الله ، والقناعة هى التى تكون صاحبها وترفعه، وتجعله إنساناً جديراً بالانتساب إلى الإنسانية ، أما الطمع والجشع والمحاولات التى لا تشرف صاحبها ، فليست بجالبة له سعادة ، ولا هى بالتى تزيد فى رزقه .

دارت هذه الخواطر كلها وأكثر منها فى نفسى ، فقلت لها : يا نفسى سيرى على الطريق الأقوم ، واقتدى بسيد الزاهدين صلى الله عليه وسلم ، فقد عرضت عليه بطحاء مكة أن تكون له ذهباً فقال : لا يارب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فإن شبعت حمدت وشكرت وإن جعت صبرت واسترجيت ، واعلمى أنه لن يخلق الله مخلوقا يضيعه وأن كل دابة فى الأرض لها رزقها كما جاء فى الكتاب المبين .

مصطفى زيد

دراسات قرآنية

(١٥)

يا أخى القارئ . . .

كانت الآية الأخيرة التى عرضنا لنداء الناس فيها إحدى آيات سورة الأعراف المكية(١) ، وكانت فى سياق قصة موسى وفرعون كما رأينا . وبالرغم من هذين الاعتبارين ، لم نتردد فى القول بعموم النداء فيها ؛ إذ كان هذا العموم مما يقرره نصها ، ويحتمه سياقها الخاص . . .

ونريد اليوم أن نعرض للآيات التى نادت الناس فى سورة يونس المكية ، وهى أربع آيات ؛ لنرى : هل يعم النداء فيها كما عمَّ فى جميع الآيات التى تدارسناها حتى الآن ، وما الذى يسوِّغ هذا العموم فى كل منها إن كان ؟ . .

وأولى هذه الآيات — وهى سابعة الآيات التى تنادى الناس فى القرآن الكريم بترتيب المصحف — هى الآية التى يقول الله عز وجلَّ فيها :

« يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(١) .

ولا بد لنا أولا من الرجوع إلى سياق الآية ، ومن تبين معناها على ضوئه ؛ ليتهيأ لنا الحكم الصحيح على نداء الناس فيها ، وما أريد به من عموم أو خصوص . . .

* * *

وقد وقعت الآية فى سياق الحديث عن الناس ، من حيث استقبالهم للنعم وللمحن ، وأثر كل منهما فى نفوسهم ، بحكم الطبيعة التي جبلوا عليها ؛ ذلك أن الآيات التى قبلها تقول :

« وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيَاتِنَا ، قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً ، إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ، هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا

---

(١) هى الآية (١٥٨) فى تلك السورة .

(١) ٢٣ : سورة يونس .

كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ ، وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ، وَفَرِحُوا بِهَا - جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ . . . »(١) .

فهى تقرر تلك الطبيعة التى جبل الناس عليها ، إلا مَنْ هَدَى اللهُ ؛ حيث تصفهم عند الرخاء ، وعند الشدة ، وحيث تبين موقفهم من الرحمة حين يذيقهم الله حلاوتها بعد ضراء مستهم ، ومن النقمة حين يرسلها الله عليهم بعد الأمن والدعة ...

إنهم عتاةٌ مَرَدة ، جاحدون للنعمة ، منكرون لآيات الله ، حين يبلوهم الله ويختبرهم بنعمه ؛ ليتيح لهم فرصة عبادته بالشكر . وهم ضعاف عاجزون حين تنزل بهم النقم ، مقبلون على الله بسبب هذا الضعف ، داعون إياه فى تذلل وخشوع ، معاهدون له على الشكر إذا هو أنجاهم من البلاء الذى نزل بهم .

ويستجيب الله دعاءهم بواسع فضله ورحمته ، فينجيهم مما فزعوا إليه من أجله ، ويعيد إليهم الأمن الذى افتقدوه ، والنعم التى أحسوا الحاجة إليها ، فإذا طبيعتهم الجاحدة تعود إلى الظهور مرة أخرى ، وإذا هم يعودون كما كانوا من قبل عتاة ، مردة ، جاحدين للنعمة ، منكرين لآيات الله ، باغين مفسدين فى الأرض .

وهنا يخاطبهم الله عز وجلّ ؛ لينبهم إلى ماغفلوا عنه ، وهو أن بغيهم لن يضار به غيرهم ، وأن مجالهم ضيق لأنه لا يعدو هذه الحياة الدنيا ، وهى قصيرة مهما امتد بهم العمر ، وأن مرجعهم بعد هذا إلى الله : المنعم الذى جحدوا نعمه ، القوى الذى نقضوا عهدهم معه ، وسيجازيهم فى دار البقاء على ما أساءوا فى هذه الدار ! . .

* * *

هكذا — يا أخى القارئ — يلتقى سياق الآية ومعناها عند بيان تلك الطبيعة فى الناس ، والدعوة إلى تهذيبها . وقد أشرنا إلى أن المراد بالناس — متحدَّثا عنهم ومتحدَّثا إليهم — هم الجنس كله ، إلا من هداه الله ، فالنداء فى الآية إذن نداء للناس جميعا ، بوصفهم جنسا له طبيعته الخاصة ، وليس خاصا بطائفة منهم دون طائفة .

وعموم النداء فى الآية يؤكده أن المعنى الذى جاءت فى سياقه الآيات المبينة له — واضح العموم فى جميع المواضع التى عرضت له فى القرآن ، وهى كثيرة ؛ ففى سورة يونس نفسها : « وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ

---

(١) الآيات من ٢١ — ٢٣ فى السورة نفسها .

كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(١) ، وفى سورة الإسراء : « وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً »(٢) ، وفى السورة نفسها : « وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً »(٣) ، وفى سورة الزمر: « وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »(٤) ، وفى سورة فصلت : « وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ »(٥) ، وفى سورة الروم : « وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ »(٦) ، وفى السورة نفسها : « وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ »(٧) إلى آيات كثيرة أخرى تعالج تلك الطبيعة فى الإنسان ، وآيات أخرى تتحدث عن كفرانه بالنعم ، وعن جحوده لها ، وتعجِّب من تأصُّل هذا فيه ! ..

ولعله من هنا كانت للشكر تلك المكانة العظيمة فى الإسلام ، وكانت للشاكرين منزلتهم عند الله عز وجل ، حتى لقد أثنى الله جلت حكمته على أبى الأنبياء إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان شاكراً لأنعمه حيث يقول : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِراً لأَنْعُمِهِ »(١) ، وحكى عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أنه كان يقول فى دعائه : « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ »(٢) ، ثم وصف الناس بقلة الشاكرين فيهم حين قال : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ »(٣) .

* * *

يا أخى القارئ . . .

بسبب تلك الطبيعة الجاحدة فى الإنسان ، كان قليل الشكر لربه ، كفورا بنعمه عليه ، مع أن هذه النعم كثيرة لا تحصى . . .

ومن أجل تلك الطبيعة عينها — وهى محتاجة دائماً إلى الإصلاح والتهذيب — أرسل الله عز وجل إلى الناس رسله ، وأنزل على هؤلاء الرسل كتبه : تحمل النور الهادى ،

---

(١) الآية : ١٢
(٢) الآية : ٦٧
(٣) الآية : ٨٣
(٤) الآية : ٨
(٥) الآية : ٥١
(٦) الآية : ٣٣
(٧) الآية : ٣٦

(١) الآية : ١٢٠ ، ١٢١ : سورة النحل .
(٢) ١٩ : سورة النمل ، ١٥ سورة الأحقاف
(٣) ١٣ : سورة سبأ .

وتدعو إلى الحق الأبلج ، وتطب لأدواء النفس الإنسانية . .

ولعل أصدق وأبلغ ما توصف به هذه الكتب السماوية — هو ما وصف به الله جلّ ذكره خاتم هذه الكتب ، حيث يقول مخاطبا الناس :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ »(١) .

ومن عجب أن تكون هذه الآية من آيات نداء الناس ، هى التالية للآية التى أسلفنا الحديث عنها فى هذا المقال ، بترتيب المصحف ، وأن تكون فى السورة نفسها ، وإن فصلَت بينهما بضع وثلاثون آية ! ..

فإذا كانت أولى الآيتين تشخِّص الداء ، وتصف العلة — فإن الثانية منهما تصف العلاج ، وتدعو إلى التداوى به . وإن الله عز وجلّ ليسمى هذا العلاج موعظة ، وشفاء ، وهدى ، ورحمة ، وفضلا ، ثم يأمرهم أن يفرحوا به ، كأنه يهنئهم بنزوله فيهم ، ثم يقرر أنه خير من كل ما يحرصون عليه ، ويهتمون به ، ويجمعونه من مصالحهم الدنيوية ! . .

---

(١) ٥٧ — ٥٨ : سورة يونس .

الحديث والمحدثون

هذا كتاب جليل يقع فيما يزيد عن الخمسمائة صفحة من الحجم الكبير ، ألفه فضيلة الأستاذ محمد محمد أبو زهو أحد علماء الأزهر الشريف والأستاذ بكلية أصول الدين وقد عرض فيه بحوثا قيمة عن السنة النبوية المطهرة ، ومنزلتها فى الدين ، وبيانها للقرآن ، وتاريخها ومراحل تدوينها ، وعناية الأمة الإسلامية بها ، ودفع الشبه التى أثيرت حولها من المستشرقين وأذنابهم ، وقد عرض المؤلف الفاضل هذه البحوث القيمة فى توسع وعمق ، ومن خير ما يعرِّف بهذا الكتاب قول فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مخلوف : « وإن كتاب الأستاذ أبو زهو - والحمد لله - صوت حق ، ولسان صدق ، وبلاغ للناس ، يفخر به العلماء ، ويعتز به المنصفون من الباحثين ، ونسأل الله تعالى أن ينفع به ، وأن يثيب مؤلفه أجزل الثواب ، ويجزيه خيراً عن السنة والكتاب » .

وقد أحسن المؤلف إصدار كتابه فى هذه الفترة التى تطاول فيها أدعياء العلم وأذناب الإسلام على جلال السنة يحاولون أن ينالوا منها ، وهيهات . . . . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وشكر الله لفضيلة المؤلف هذا المجهود العلمى الجليل ، وأدام عليه نعمة التوفيق .

أحمد الشرباصي

نفس توّاقة

يشب الإنسان وتشب معه رغباته وأهواؤه ، ولا يعيب الإنسانَ أن تتطلع عينه إلى هذا الشىء أو ذاك من أشياء الحياة ، وإنما الذى يعيبه أن ينحرف فى رغبة ، أو يشذ فى هوى ، أو يسرف فى شهوة ؛ وكلما سمت رغبات الإنسان ، أو اتجهت إلى مكارم الأمور ، كان ذلك أدل على نبل المحتد ، وعلو الهمة ، وشرف القصد . . .

ولقد كان الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجلا كالناس : له نفسه التى تتوق ، وله رغباته التى تشوق ، ومن حسن حظه ، بل من فضل الله عليه ، وتوفيقه له ، أن هذه الرغبات عنده قد اتجهت اتجاهاً يشرف صاحبها ولا يشينه ، ومن سابغ نعمة الله على عمر أن تتدرج هذه الرغبات فى مدارج العلو والسمو درجة بعد درجة ، حتى تنتهى إلى القمة : وهى الرغبة فى الآخرة ، وإلى الذروة : وهى التعلق بما يحبه الله ويرضاه ...

ويوجز عمر ذلك التدرج فى مدارج الرغبة والتوقان ، فيقول :

« كانت لى نفس تواقة ، فكنت لا أنال شيئا إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية تاقت إلى الآخرة » ! ...

لقد كان عمر ربيب قصور ونعمة ، نشأ فوجد القيادة والسيادة فى أسرته وأهله ، ولكن ذلك لم يجعله متكلا على نسبه وحسبه ، بل أقبل على نفسه يؤدبها ويهذبها ، وعلى عقله ينيره ويزوده بالعلم والمعرفة والأدب ، ولقد تطلعت نفسه منذ صغره إلى أن يكون كخاله عبد الله بن عمر رضى الله عنه فى الدين والفتيا ، وتاق أول ما تاق إلى طلب العلم والفقه والحديث والشعر والأدب ، ولذلك يحدثنا عن نفسه فيقول : « لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسى إلى العلم : إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتى » .

ولقد أرسله أبوه عبد العزيز بن مروان وهو صبى إلى المدينة يتأدب بها ويتعلم ، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ؛ وعهد به أبوه أيضا إلى صالح بن كيسان يؤدبه ، فكان صالح يلزمه الصلاة ، فأبطأ عمر يوماً عنها ، فقال له صالح : ماحبسك عن الصلاة ؟! . قال : كانت مرجلتى تسكن شعرى . فقال صالح لا أمّاً له : أبلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟!. وكتب صالح إلى والده بذلك ، فبعث إليه عبدُ العزيز رسولا ، فلم يكلمه حتى حلق شعره !! . وحفظ عمر القرآن وهو صغير ، ففتح عليه أبواباً من العلم والفقه والتدبر والتأثر ... وكان فى أول أمره يطلب أنواعاً خاصة من العلم ، فلما ولى أمر الناس تطلب المعرفة من كل لون ، ونشد العلم من كل صنف ، يقول : « كنت أصحب من الناس سراتهم ، وأطلب من العلم شريفه ، فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديه وسفسافه » .

وطلب عمر بن عبد العزيز الحديث ، فأسنده عن جماعة من الصحابة ، وعن جماعة من كبار التابعين ، إلا أنه كان مشغولا عن الرواية بالإمارة والخلافة ، ولذلك قل حديثه .

أسند الحديث عن أنس بن مالك ، وابن عمر ، وعبدالله بن جعفر ، وعمرو بن أبى سلمة المخزومى ، والسائب ، ويوسف بن عبدالله بن سلام .

وأرسل الحديث عن جماعة من القدماء منهم عبادة بن الصامت ، وتميم الدارى ، والمغيرة بن شعبة ، وعائشة ، وأم هانى ، وخولة بنت الحكم .

وروى عن جماعة من كبار التابعين منهم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعامر بن سعد بن أبى وقاص ، وأبو بردة ، والربيع بن سبرة الجهنى ، وعراك بن مالك ، ووالده عبد العزيز بن مروان ، والزهرى ، ومحمد بن كعب القرظى .

وسمع من أبى سلام ممطور الحبشى ، وروى من أبى حازم ، وخلق يطول ذكرهم .

وغزر علم عمر ، واتسعت معرفته ، حتى أثنى عليه الأقطاب والأعلام فى عصره ، وحتى نوه به أنس بن مالك ، وقال ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز ، فظننا أنه يحتاج إلينا ، فإذا نحن عنده تلاميذ !! .

ولقد قدم ابن شهاب الزهرى بعد ذلك على عمر ، فجعل الزهرى يعرض عليه علمه ، فقال له عمر : ما أعلمك تعرض على شيئاً إلا شيئاً قد مر على مسامعى ، إلا أنك أوعى له منى !..

وفى رواية عن ابن شهاب قال : سمرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة فحدثته ، فقال : كل ما حدثتَ به فقد سمعتُه ، ولكنك حفظتَ ونسيتُ ! ...

وهذا يدل على أن عمر قد علم الكثير ، واطلع على الكثير ، ولكن الشواغل التى عرضت له جملته ينسى جوانب مما حفظ ومما حصّل ، بينما تفرغ للحفظ والتحصيل غيره …

* * *

وبجوار العلم والمعرفة تاقت نفس عمر إلى الثياب والعطور ، فكان يكثر من الثياب ذات الثمن واللون والقيمة ، وكان التاجر يأتيه بالثوب من الحرير أو الخز أو الديباج ، فيعيبه بخشونة فى ملمسه ، ويود أن يكون أرق من ذلك وأنعم ! .. وكان يكثر من استعمال الطيب والعطور ، حتى تُعرف رائحته وهو قادم أو مار قبل أن يراه الناس ، وكان الناس يذهبون إلى الغسال الذى يغسل ثياب عمر ، ويرجونه أن يغسل ثيابهم عقب ثيابه ، لتنال ثيابهم من عطر ثيابه الذى يسرف فيه ، وكان مغرماً باستعمال العنبر والقرنفل وغيرها من ألوان العطور ، وكان ذلك فى صدر شبابه ...

وتاقت نفس عمر فى صباه إلى الغناء والألحان والسماع ... فهو يصوغ الشعر أحيانا ليكون أنشودة من أناشيد الغناء ، أو يختار قطعاً أخرى يلحنها ويدفعها إلى المغنين ليغنوها ، وقد يغنى هو بنفسه ، فقد كان عذب الصوت حلو الغناء ، وكان يحب إنشاد الشعر بين يديه ، ويحب سماع النسيب ، ويطرب للأصوات حين تتردد على سمعه ، وربما صفق لها بيديه ؛ وحرك من أجلها رجليه ... وقد تحدثنا عن الغناء فى حياة عمر حينما تحدثنا عن الشعر فى حياته فى موطن آخر (١) . .

ثم تاقت نفس عمر إلى زواج ابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان .. فاطمة الجميلة النسيبة ، بنت الخلائف وربيبة القصور ، التى يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة ، والخليفة جدها
أخت الخلائف ، والخليفة بعلها

ويحدثنا التاريخ بأن عبد الملك بن مروان قال لعمر يوماً : قد زوجتك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ؛ فسر عمر بذلك وقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة ! . .

وعن عمارة بن غزية قال : لما أولم عمر ابن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة الغالية ! ... والغالية نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن .

ويظهر أن عمر قد قضى مع زوجته فاطمة أياماً سعيدة جميلة فى بلدة « دابق » قبل أن يلى أمور الناس ، وكان عمر يتذكر هذه الأيام فيما بعد ، ويذكرها فاطمة من حين لحين ! .

* * *

ثم تاقت نفس عمر إلى الولاية والإمارة ... إلى الحكم وسياسة الناس ...

وكان عمر حينئذ فى العشرين من عمره ، وقد لاحظ عبد الملك فيه علماً وذكاء وعلو مكانة ، فأراد أن ينتفع الناس بهذا ، فولاه

---

(١) كتاب « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » تحت الطبع . وانظر مسرحية « الحاكم العادل عمر ابن عبد العزيز » .

ولاية «خناصرة» سنة خمس وثمانين للهجرة .

و « خناصرة » هـذه بليدة من أعمال حلب ، تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى بلدة كان ينزلهـا عمر بن عبد العزيز ، وهى صغيرة ، وقد خربت الآن إلا اليسير منها ، وهى قصبة كورة الأحص ، وهى كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب .

و « خناصرة » على الرغم من صغرها قد ذكرها الجمدى وابن الرقاع وجران العود والمتنبى فى أشعارهم ، وفيها يقول المتنبى :

أحب حمصاً إلى خناصرة
وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنـ
ـان وثغرى على محياها
وصفت فيها مصيف بادية
شتوت بالحصحصان مشتاها
إن أعشبت روضة رعيناها
أو ذكرت حلة غزوناها

وقد بقى عمر والياً على « خناصرة » حتى مات عبد الملك ...

* * *

ثم تاقت نفس عمر إلى إمارة «المدينة» . المدينة حيث مسجد الرسول ، ومثواه عليه الصلاة والسلام ، وحيث أخوال عمر من بنى الخطاب ، وحيث المجتمع الإسلامى الذى يموج بالتيارات ، وحيث السلطة التى تتسع كثيراً عن ولاية «خناصرة» الصغيرة ! .

وقد ولاه الوليد إمارة المدينة سنة سبع وثمانين، وكان عمر حينئذ فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقدم المدينة فى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وقد أقبل عليها فى موكب مشهود يضم ثلاثين جملا ، وقضى فيها ردحاً من الزمن ، حتى تغير الوليد عليه ، فعزله عنها سنة ثلاث وتسعين !! ...

* * *

ولم يتزوج عمر بزوجة واحدة ، بل تزوج لميس بنت على بن الحارث ، وكان له منها عبد الله وبكر وأم عمار ، وتزوج أم عثمان بنت شعيب بن زيان ، وكان له منها إبراهيم ، وتزوج أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب وكانت أجمل نساء قريش ، وكانت زوجة لعبد الرحمن بن سهيل بن عمرو ، فلما مات عبد الرحمن تزوجت عمر ، كما روى أبو الفرج فى الأغانى ، وكانت له أم ولد ، رزق منها بعبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله. وسبق أن عرفنا أنه تزوج فاطمة بنت عبد الملك ، وكان له منها إسحق ويعقوب وموسى .

بل وتاقت نفسه إلى الهوى فى شبابه كما قيل .. فلقد كانت لزوجته فاطمة جارية ذات جمال فائق ، فأعجب بها عمر قبل الخلافة ، وغارت من ذلك فاطمة ، وحالت بينه وبينها ؛ ومن العجيب أنها عادت بعد الخلافة فعرضت عليه بنفسها هذه الجارية ، فلم تجد لديه إقبالا ، فقد انصرف عن كل هذا إلى ما سواه !! ... فما الذى تاقت إليه نفس عمر بعد هذا ؟ ! ...

« للحديث بقية »

عبد المغنى المنشاوى

من أعلام الإسلام

على بن أبى طالب

(١)

أبواه :

فأما أبوه فأبو طالب بن عبد المطلب ، أحد أعمام رسول الله محمد بن عبد الله ، وأما أمه ففاطمة بنت أسد ، من أكرم القبائل نسبا ، وأرفع النساء حسبا ، وأطهرهن قلبا ، فلا عجب أن يرزق هذان الأبوان الكريمان مولوداً علىّ القدر ، نابه الذكر ، يتحدث بمآثره وشمائله لسان الدهر .

مولده :

ذهبت فاطمة إلى بيت الله الحرام تطوف به وتلتمس البركة منه ، ثم لا تكاد تمضى فى طوافها حتى يصيبها إعياء يلجئها أن تتشبث أصابعها بأستار الكعبة ، تتحامى بها أن تسقط من فرط هذا الإعياء ، — ياعون الله أعنها — وقد أخذت تحس شيئا غاب عن ذهنها حسابه ، وتجيل فيما حولها عيناً حائرة ، لعلها تبصر زوجها أبا طالب يسعى هنا أو هناك ، فتجد لديه عونا على ما تلقى ، ولكنها لا تراه .

يا عجبا وقد لحظتها عناية الله ساعة مخاضها ، بعد إذ أراد أن يكون فى بيته لا فى بيتها . فهذه فاطمة بعد إذ تسترت بأستار الكعبة ، تبدو واهنة القوة بادية الإعياء وقد احتملت وليدها الحبيب بين صدرها وكفيها — تلك ولادة لم يفز بها طفل قبل هذا الوليد ، فكانت تكريما له ولأبويه ، ولفرعى هاشم الذى انحدر منه هذا الطفل .

أحبت فاطمة أن تحيى فى وليدها اسم أبيها (أسدا) فدعته بمعناه لا بلفظه ، وقالت لزوجها وهى تحاوره — : هو حيدرة .

لكن أبا طالب كان أكثر توفيقا حين قال : بل علىّ — وياما أصدق فأل هذه التسمية العالية — فلقد عاش كرم الله وجهه طوال حياته ، علىّ الخلق ، على الهمة ، علىّ المقدار ، بين جمهرتى المهاجرين والأنصار .

نشأته ومرباه :

ضاق طوق أبيه أبى طالب لقلة ماله عن احتماله ، فاحتضنه ابن عمه محمد ليكون له بعض آله ، وإن محمداً لرسول الله ، العزوف عن متع هذه الحياة ، يقوم الليل ويعاف الرقاد ، زلفى إلى رب جده إبراهيم بانى البيت العتيق ، ويعمل نهاره من أجل صغاره ومن أجل هذا الربيب الجديد .

ما كانت دعوة محمد بغريبة عن قلب الفتى ، ولا بالتى يعاف جرسها سمعه ، فقد كان يشعر فى قرارة نفسه ، أنه غريب فى معبد الأصنام ، قد كرم الله وجهه ، لم يول وجهه شطرها مرة ، ولعله كان يجرى فى ذلك على سنن ابن عمه ومربيه عليه صلوات الله ، إذ كان يأخذ نفسه فى الفينة بعد الفينة بمحاكاة محمد ، حتى أصبح من فرط تعلقه به واتخاذه قدوة له ، يصوره أصدق التصوير فى كثير من الأفعال والأحوال .

إسلام على :

دعا رسول الله ابن عمه عليا إلى متابعته ونبذ عبادة الأحجار الصم إلى عبادة واحد قهار ، يسمع ويبصر ولا تدركه الأبصار ، فكان جواب علىّ وما كان أعجبه من جواب : أمهلنى أشاور أبا طالب : فابتسم له ابن عمه بسمة حانية ، وربت كتفه راضيا ، ومضى علىّ لساعته لا ليشاور أبا طالب ، بل ليشاور عقله ، فأخذ يلوم نفسه ، كيف لم يستجب لدعوة الحق على لسان رسول الحق ، دون حاجة إلى مشاورة أو مداورة .

عاد على ليدخل الحجرة كما اعتاد أن يفعل ليأنس بجلسة إلى ابن عمه بين خديجة الرءوم وفاطمة الصغيرة ، فما راعه وهو يدفع الباب إلا أن رآهما يركعان ويسجدان والوليدة تتابعهما بالمحاكاة ، وتوسم فيما يأتيان خشوعا ، كما توسم عملا غير مألوف ، فوقف فى مكانه لا يبرح ، ومضت إلى سمعه قراءة ساحرة ، يرتلها محمد بصوت عذب ، ما سمع مثل حلاوتها ولا رنتها ولا بلاغتها من قبل ، وأخذته من الكلمات نشوة لفت مشاعره ، فلم ينتبه إلا وكف ابن عمه على كتفه تلمسه لمساً رقيقاً وتعيده إلى نفسه وهى تحدثه : ألا قد صدق محمد حقاً ، وما كانت هذه الآيات بالتى يستطيعها بشر بل هى من كلام الله — وما تمالك الفتى أن قال لرسول الله وقد هدأ جأشه : يابن عمّى ، إنى سمعت وأجبت ، وإنى أشهد بشهادة الإسلام أن لا إله إلا الله وأنك لرسوله .

فكأنما كان بهذه الكلمات سحر ، ما إن جاوزت شفتيه حتى أحس بذاته خفيفة رقيقة ، لها لطف النسمة ؛ وابتسم له محمد ، ومسح بكفه على رأسه وعلى صدره ، وخشى علىّ فى هذه الآونة أن

يطوف بظن نبيه أنما كان إسلامه بمشورة أبيه ، فسارع يضيف : يارسول الله ، ما كنت لأسمع لأبى طالب أو أشاوره فى دينى ، فقد خلقنى الله ولم يشاوره فى خلقى ، إنى هديت يا رسول الله بك إلى ربى .

إسلام أمه وإباء أبيه :

شرح الله صدر فاطمة الأسدية للإسلام فكان فرح ابنها على بإسلامها لا يبلغه وصف الواصفين ، كما كان عظيم الرجاء بعد إيمان أمه فى إيمان أبيه .

عاد ذات أمسية من متعبّده فى حراء فلقيه أبو طالب وقال له :

يا بنى ، أين كنت ، وليس لك الشعب بملعب ؟

أجاب علىّ :

كنت أقضى به حقّ ربى .

فهزّ الشيخ متمهلا رأسه وهو يقول :

أصبت لو أصبت .

فرد على فى حماسة :

تبعته فى صواب ، وما عرف الناس عنه إلا حقا .

أمحمداً عنيت ؟ .

كان الرجل قد سرى إليه همس الناس .

قال علىّ :

— هو يا أبت ، وإنه لرسول الله .

— فحدثنى بما يمشى به الناس .. ما هذا الدين الذى أسمع أنه يدين به ؟ .

— دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، دين أبينا الخليل إبراهيم .

— وما لابن أخى به ؟

— بعثه الله به رسولا إلى الخلق كافة .

فتفرس الشيخ برهة فى عينى ولده ثم قال:

— يا بنى أراك اتبعته .

— آمنت بالله ، وآمنت برسوله .

وطأطأ أبو طالب رأسه برهة يفكر وقد عجب لهذه الحماسة التى يراها قد اشتملت فتاه .

فحدث علىّ نفسه : يا ترى هل آن للشيخ أن يصيب هداه ؟ .

وأسرع فى لهفة يستحث الرجل ويدعوه: أى أبت ، إنه والله للحق ، وأنت أحق من استمع إليه وأعان عليه ، أى أبت فهلم إليه.

ولكن أبا طالب بدا كمن لم يستمع إلى ندائه وإن قال :

أى بنى ، أما إنه لم يدعك إلا لخير فالزمه . ومضى عنه .

لبث أبو طالب ملازما دين آبائه لم يحل عنه، وإن عاش ردْءا لابن أخيه ، فلما مات أبو طالب مات بموته الظهير ، ولكن عليا يرى فى نكول أبيه عن الإسلام سفاهة وضلالا ، فهو يقبل على رسول الله ليفضى إليه بالنبأ فى كلمات صريحة وإن آذى بها أباه :

يارسول الله ، إن عمك الشيخ الضال قد مات .

وهكذا وسع قريشا أن تسفر عن أحقادها وضغائنها ، بعد أن خلا طريق الإيذاء من الصخرة الكأداء ، وأبيح لهم بعد موت الشيخ مالم يكن يباح ، فانطلقوا يصبون من طغيانهم على محمد وأصحابه جامات وجامات .

عبد الرحمن الضبع

ما أغنى عنى صاحبك شيئا..

قصد الرشيد ذات ليلة دار وزيره أبي العباس ، الفضل بن الربيع ، وقرع عليه بابه ، وكان قد رسخ فى نفس الرشيد أمر أسهره حتى ضاق به وأرقه ، وسمع الوزير قرع الباب ، فانتبه وأسرع وفتحه ، ولما رأى الرشيد قال : لو أرسلت إلى يا أمير المؤمنين أتيتك ، فقال الرشيد : ويحك ياعباس ، جِدٌّ لما جئنا له ، إنه قد حاك فى نفسى أمر لا يخرجه إلا عالم ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقال العباس : ههنا سفيان بن عيينة ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً وقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إلىَّ لأتيتك ، قال : جِدٌّ لما جئنا له ، فحادثه ساعة ثم قال : أعليك دين ؟ قال : نعم ، قال : يا عباس ، اقض دينه ، ثم انصرفنا فقال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت : ههنا عبد الرازق بن همام ، واعظ العراق ، فقال : امض بنا إليه نسأله ، فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال: ياأمير المؤمنين ، لو أرسلت إلى أتيتك . قال : جد لماجئنا له ، فحادثه ساعة ثم قال له : أعليك دين ؟ قال : نعم ، قال : يا عباس ، اقض دينه ، ثم انصرفنا فقال : ما أغنى عنى صاحبك شيئا ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت : ههنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى ، يتلو آية من كتاب الله عز وجل ويرددها ، فقرعنا الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال: مالى ولأمير المؤمنين ، فقلت : سبحان الله ، أما تجب عليك طاعته ؟ فقال : أو ليس قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليس لمؤمن أن يذل نفسه ، وفتح الباب ، ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة مسرعاً فأطفأ السراج ، والتجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف الرشيد إليه فقال : أوَّاه ، ما ألينها من يد إن نجت غداً من عذاب الله !! فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى ، فقال الرشيد : جد لما جئنا له ، قال : وفيم جئت ، حملت على نفسك ، وجميع من معك حملوا عليك ، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب مافعلوا ، ولكان أشدهم حباً لك أشدهم هربا منك ، ثم قال : إن عمر بن عبد العزيز ، لما ولى الخلافة ، دعا سالم بن عبد الله بن عمر ، و محمد ابن كعب القرظى ، ورجاء بن حيوة ، وقال

لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء ، فأشيروا على ، فعد الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك فيها على الموت ، وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة غدا من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين لك أبا ، وأوسطهم لك أخا ، وأصغرهم لك ولداً ، فبر أباك ، وارحم أخاك ، وتحنن على ولدك . وقال له رجاء : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم متى شئت مت ، وإنى لأقول لك هذا ، وإنى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام ، فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم ، من يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى الرشيد بكاء شديداً حتى غشى عليه فقلت : ارفق بأمير المؤمنين ، فقال : يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك ، وأرفق أنا به ؟ ثم أفاق فقال : زدنى يرحمك الله ، فقال : ياأمير المؤمنين ، إن جدك العباس أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أمرنى على إمارة ، فقال له : يا عباس ، يا عم النبى ، نفس تحييها ، خير من إمارة تحصيها ، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فبكى الرشيد بكاء شديداً وقال : زدنى ، فقال : يا حسن الوجه ، أنت الذى يسألك الله عز وجل يوم القيامة عن هذا الخلق ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح أو تمسى وفى قلبك غش لرعيتك ، فى الحديث : من أصبح لهم غاشا ، لم يرح رائحة الجنة . فبكى الرشيد بكاء شديداً ثم قال : أعليك دين ؟ قال : نعم ، دين لربى يحاسبنى عليه ، فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن لم يلهمنى حجتى ، فقال هرون : إنما أعنى دين العباد ، فقال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، وإنما أمرنى أن أصدق وعده ، وأطيع أمره ، فقال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » فقال له الرشيد : هذه ألف دينار ، خذها فأنفقها على عيالك ، وتقوّ بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله أنا أدلك على النجاة ، وتكافئنى بمثل هذا ، سلمك الله . ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فقال الرشيد : إن دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا ، فإن هذا سيد المؤمنين اليوم . فدخلت عليه امرأته فقالت : يا هذا ، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال ، لانفرجنا به ، فقال : إن مثلى ومثلكم ، كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه . موتوا يا أهلى جوعاً ، ولا تنحروا فضيلا ، فلما سمع الرشيد ذلك قال : ادخل بنا ، فعسى أن يقبل المال ، قال : فدخلنا ، فلما رآنا ، خرج فجلس على السطح فوق التراب ، فجلس الرشيد إلى جنبه ، فكلمه فلم يرد عليه ، فبينما نحن كذلك . إذ جاءت جارية سوداء فقالت : ياهذا ، قد آذيت الشيخ منذ أتيته ، فانصرف يرحمك الله راشداً ، فانصرفنا .

دكتور حامد الغوابى

الميتة والدم ولحم الخنزير

بين الطب والإسلام

(٢)

نتكلم الآن عن بقية آية تحريم الدم ولحم الخنزير .

والمقصود بالدم هنا الدم المسفوح لا ما خالط اللحم ، إذ يقول الله سبحانه فى آية أخرى : (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً) .

فما هو الدم ؟ هو ذلك السائل المعتم الأحمر الذى يسير فى أوعية الجسم من شرايين وأوردة وأنابيب شعرية ، وهو يتكون من سائل يسمى (البلازما) وخلايا ، فأما (البلازما) فتحتوى على ٩٠ فى المائة ماء ، و ١٠ فى المائة مواد صلبة .

أما خلايا الدم فهى نوعان ، خلايا الدم الحمراء ، وخلايا بيضاء تقوم بوظيفة الدفاع عن الجسم ضد الجراثيم .

ووظيفة الدم فى جسم الإنسان أنه يقوم بحمل المواد الغذائية من المواد التى حدث منها الامتصاص فى الجسم إلى الأنسجة المختلفة ، كما أنه يحمل مخلفات الجسم إلى الأمكنة التى تفرز منها كالكليتين والمثانة والجلد وغيرها .

هذا والدم يعتبر أصلح الأوساط لنمو الجراثيم ، فبمجرد ذبح الحيوان يصبح عرضة لانتشار الجراثيم فيه ، فإذا ما شرب الدم إنسان فكأنما شرب مزرعة نمت فيها الجراثيم وتكاثرت ، وهناك سموم تفرز لا تتأثر بالطهى ، وتسبب التسمم لمتناولى هذا الدم ، كما أن فيه فضلات أراد الله أن تخرج بواسطته من الجسم ، لا أن يعاد تجرعها فتعود على الجسم بالضرر والهلاك .

ولقد ثبت أيضا أن الدم عسر الهضم ، بما يحوى من مواد غير قابلة للهضم ، كما أنه إذا مر فى القناة الهضمية تحلل وتعفن وأصاب الجسم بالأضرار المميتة ، كما أنه قد يحمل

أيضا جراثيم الأمراض العفنة المعدية فى الحيوان قبل ذبحه .

هذا عن شرب الدم وتناوله كطعام ، أما عن صفته فى دم الإنسان المريض الذى أصيب مثلا بنزيف شديد من دمائه نتيجة حادثة ، فيتعرض من نزف دمه إلى هبوط شديد وانخفاض فى ضغط دمه ، وصدمة تقوده إلى الموت إن لم يسعف حالا بنقل دم يشبه دمه فصيلة ونوعاً إلى عروقه ، فكم نجى نقل الدم من إنسان قوى صحيح إنساناً نزف دمه وخارت قواه ، فلا أرى فيه تحريماً ما دام فيه اضطرار ، وقد أفتى بذلك العلماء أيضاً (انظر كتاب فتاوى شرعية لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف) .

لحم الخنزير :

إن فى تحريم لحم الخنزير لمعجزة بالغة للقرآن .

لحم الخنزير ينقل مرضاً من أخبث الأمراض وإنه من حسن حظ المسلمين أن هذا المرض وغيره مما ينشأ من أكل لحم الخنزير لا يوجد بينهم فى حين أنه منتشر بين الإفرنجة وهذا المرض له صورتان :

(الصورة الأولى) دودة مخصوصة توجد فى الأمعاء الدقيقة .

(الصورة الثانية) أكياس تظهر فى أماكن متعددة من جسم الإنسان .

الدودة طولها متران أو ثلاثة أمتار ، وقد تبلغ الثمانية أو أكثر فى بعض الأحوال ورأسها مستدير يبلغ قطره ميللمتراً ، وله خرطوم يحمل صفين من رماح صغيرة تبلغ من عشرين إلى خمسين رمحا وله أربع ممصات ويتبع الرأس بقية جسم الدودة وهو حلقات صغيرة ، ونهاية الحلقات هى الحلقات الناضجة.

فإذا ما أكل إنسان هذه الفضلات التى تحوى الأكياس الصغيرة التى فيها بويضات الدودة يذوب الكيس الخارجى بتأثير عصير المعدة ويبرز الرأس وقد كان منغمداً ، ثم يسير إلى الأمعاء الدقيقة وهناك يثبت الرأس نفسه بواسطة هذه الممصات التى ذكرناها فى جدار الأمعاء ، ثم يبنى الجسم حلقات فوق حلقات ويبقى الإنسان حاملا هذه الدودة اللعينة وسبباً فى نقلها إلى الخنزير ثم من الخنزير إلى الإنسان ثانية .

وهذه الدودة تسبب فى الأجسام النحيفة خصوصاً وفى الأطفال أعراضاً مغوية شديدة وقيئاً وشدة حساسية فى الأعصاب وأنيميا (فقردم) وليت هذا الخطر وقف عند هذا الحد وأصبح الإنسان مريضاً بالدودة فحسب بل يصير الإنسان وسيطاً كالحال فى الخنزير وهنا البلاء والطامة الكبرى ، أى يصير الإنسان حاملا هذه الأكياس فيكون من نتيجة وجودها فى خطر داهم وموت محقق

كيف يصاب الإنسان بالأكياس :

الإنسان إذا كان حاملا هذه الدودة عرضة لأن يصاب بالأكياس فقد يخرج منه دون أن يشعر أو وهو نائم بعض حلقات ناضجة من جسم الدودة فيشعر بالتهاب فى منطقة الشرج فيحك هـذا الموضع بأصابعه غير عالم سبب هذا الالتهاب ، فتعلق هذه البويضات التى لا ترى إلا بالمجهر فى أطراف أصابعه ثم قد يضع الإنسان إصبعه فى فمه لأى سبب من الأسباب فتذهب البويضات إلى أجزاء جسمه كما تذهب فى الخنزير ، فتظهر هذه الأكياس فى ملتحمة العين وفى اللسان وفى الرقبة وفى الضلوع والكبد والرئتين وفى المخ . ولا إخالكم إلا مقدرين تأثير هذه الأكياس وهى كالأورام فى هذه الأجزاء من جسم الإنسان .

وحالات هذا المرض بين المسلمين منعدمة وفى بلادنا قليلة بالنسبة لغيرها من البلاد ، ومن الحالات التى شوهدت حالة مدرس مصرى فى الإسكندرية ، كان يسكن فى بنسيون أصحابه غير مسلمين فأتى مرة يعرض ورما فى عينيه ، وبامتحان هذا الورم ثبت أنه كيس هذه الدودة .

هـــذا ، وهناك مرض آخر يسمى (تريكينا اسبيرالز) : وهذا المرض الذى ينشأ عن أكل الخنزير (والنبّار) المحتوى على (التريكينا الملتوية) هذا أيضاً من أشد الأمراض فتكا بالإنسان ، هذا وإن الوقاية تكاد تكون منه مستحيلة .

فلا يمكن أن يحكم أى طبيب بخلو الخنزير من هذا المرض إلا إذا فُحصت عضلات الخنزير التى تقطع كورق السيجار الخفيف قطعة قطعة بواسطة المجهر ، وهذا فوق كل قدرة ولا يمكن تحقيقه ، فآكل هذا اللحم إذا كان فيه أجنة حية مغلفة فى اللحم أذابت عصارة الأمعاء الغلاف فتنطلق الديدان فى الأمعاء ، ويتم فيها تلقيح الذكر بالأنثى ثم يموت الذكر وتدخل الأنثى فى الغشاء المخاطى المبطن للأمعاء حيث تلد كل أنثى ١٥٠٠ جنيناً ، وتكون النتيجة ملايين من الإناث تدخل فى الأوعية الليمفاوية وتتوزع مع أوعية الدم إلى جميع أجزاء الجسم .

وقد عد بعض الأطباء أن فى الجرام الواحد من اللحم ما يزيد عن ١٥٠٠٠ دودة وقد يصل فى جسم المصاب من ٣٠ — ١٠٠ مليون دودة ، وهذا الدود المتكاثر العدد يسبب التهابات فى العضلات مؤلمة وأوراماً فيها ، وأعراض حمى طويلة ناهكة وضيقا فى التنفس ، فإذا تكاثرت هذه الديدان مثلاً فى الرئتين قد تحصل الوفاة من التهاب الرئتين إلى غير ذلك من الأمراض المؤدية إلى الوفاة وعلاج هذه الحالات غير متيسر ولاسبيل إلى الوقاية منها إلا بالامتناع عن أكل لحم الخنزير كما أمرنا الله تعالى .

أمين دويدار

يوسف وامرأة العزيز

(٣)

أريد أن أبين معنى قوله تعالى : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » . وأريد أن أناقش الموضوع من الناحية اللغوية أولا ، ثم من الناحية الاجتماعية .

أما من الناحية اللغوية فإن الجملة تتكون من أداة شرط ومن شرط وجواب ، وأداة الشرط هى « لولا » ، وشرطها هو المصدر المؤول من جملة « أن رأى برهان ربه » ، وجوابها محذوف — كما يرى الزجاج — يدل عليه أو يفسره ما قبله وهو جملة « ولقد همت به وهم بها » ، أوهى جوابها مقدماً كما يقول الإمام الرازى .

وسواء أكانت هذه الجملة هى جواب الشرط مقدماً أم كانت مفسرة للجواب ودالة عليه ، فإن فى تقديمها على الشرط علة بلاغية ، هى تأكيد وقوع الجواب إذا امتنع وجود الشرط ، ونظير هذا قوله تعالى فى جواب إن الشرطية : « قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا » .

وقول القائل : قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصك . ومن أجل هذا أكدت بقد فى المثالين الأخيرين وأكدت بقد واللام فى الجملة التى نحن بصددها . ولا شك أنه كلما كثرت عوامل التأكيد كان وقوع الأمر ألزم وآكد . . وإذن فقد كان « افتراء الكذب » واقعاً لا محالة إن حدثت العودة إلى ملة الكفار ، وكان « الهلاك » واقعاً لو امتنع الإنقاذ . كذلك كان « الهم » واقعاً لا محالة لولا رؤية البرهان ؛ فلولا وجود البرهان ومثوله أمام يوسف لكان قد انتهى الأمر فيما بينها وبينه . وهذا هو الذى ذهب إليه من قال : إن فى الكلام تقديماً وتأخيراً .

ونحن إلى هنا متفقون جميعاً فى أن البرهان هو الذى حال دون وقوع هذا الهم ؛ فماذا كان هذا البرهان ؟ .. لقد بينا فيما سبق أنه لا يمكن أن يكون شيئاً محسوساً ؛ فلا هو كان صورة أبيه يعقوب ، ولا صورة سيده العزيز ، ولا صورة جبريل عليه السلام ، ولا آية أو آيات كتبت على الجدار ، ولا شيئاً من الأشياء التى يمكن أن تراها العين أو تسمعها الأذن . . إذن فماذا كان يمكن أن يكون ؟ وهنا ينبغى أن يتجه البحث بنا إلى الناحية الاجتماعية .

إن المتأمل فى معانى القرآن الكريم يرى أنه تضمن فى آياته كثيراً من ظواهر الاجتماع ، وسجل هذه الظواهر باعتبارها سنناً ثابتة لا تتخلف فى كل زمان ومكان ، وباعتبارها قواعد للحياة ينبغى التدبر فيها والانتفاع بها . والآية التى نحن بصددها تضمنت ظاهرة من هذه الظواهر ؛ هى الانجذاب الطبيعى بين الجنس والجنس ، والائتلاف الجبلى بين الذكر والأنثى . وهى ظاهرة طبيعية ترى فى الإنسان والحيوان والنبات ، بل وترى فى الجماد أيضاً بين السالب والموجب ، وبين المصمت والأجوف ؛ وعلى أساسها يكون ما يكون من التناسل والنتاج وتحقيق المنافع فى مختلف شئون الحياة .

وهذه الظاهرة قد تكون على إطلاقها فيما سوى الإنسان ، ولكنها فى الإنسان مقيدة بقيود وضعتها الشرائع السماوية ، لتقوم حياته الاجتماعية على أسس صالحة ، ولتحول بينه وبين الهبوط إلى مستوى البهيمية العجماء ، بعد أن كرمه الله وأودع فيه ما أودع من أسراره ، وجعله سيد الخليقة فى هذه الأرض ، يسوسها ويعمرها على هدى وبصيرة . وعلى هذا الأساس أحل الدين للرجال والنساء من أسباب الاجتماع ما أحل ، وحرم ما حرم ، مراعياً فيما وضع من القواعد وحد من الحدود ألا تطغى الطبيعة البشرية عند اجتماع الرجل بالمرأة ، لأن الطبيعة فى ذاتها غلابة قاهرة ، ما لم تكن هناك حدود تحدها وقيود تحول دون انطلاقها . ومن أجل هذا حرم الدين خلو الرجل بالمرأة الأجنبية ، وقرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له ، فإن ثالثهما الشيطان — إلا محرم » ، وقوله : « لا يخلون رجل بامرأة أجنبية إلا ومعها ذو محرم » .

وهنا يلتقى الحديث الشريف والآية الكريمة فى تسجيل هذه الظاهرة الاجتماعية باعتبارها سنة من سنن الاجتماع ، وقاعدة من قواعد الحياة .

* * *

هذه ظاهرة ، وظاهرة أخرى سجلتها الآية الكريمة ؛ هى أن « الإيمان » هو العاصم الأول من طغيان الطبيعة إذا ما تهيأت لها الظروف وساعدتها الفرص ؛ فقد تكون الشرائع والقوانين ، والتقاليد والعادات ، ويقظة الرأى العام . . قد تكون كلها أو بعضها كافية لزجر المرء عن أن يستجيب لطبيعته الحيوانية وهو على مرأى ومسمع من الناس ؛ ولكنها كلها قد لا تكفى لزجره وهو فى خلوته مستخفياً عن العيون . . فما الذى يعصمه حينذاك من أن يستجيب لهذه الطبيعة القاهرة ؟ لا شىء يعصمه سوى « الإيمان » .

فالإيمان هو الذى يوقظ الضمير ويرهف الوجدان ، ويشعر المؤمن بقيمة نفسه فيأبى أن يهبط بها إلى مستوى الحيوان الأعجم . وهو الذى يجسم له شناعة الإثم فيخشى أن تضيع كرامته بين الناس وتذهب الثقة به من

نفوسهم . وهو الذى يترفع به عن سفساف الأمور فلا يأتى إلا ما يزينه ويصونه .

والإيمان هو الذى يذكر المؤمن بربه الكريم الذى خلقه بشراً سويا ، وجعله فى أحسن صورة وأكرم منزلة ؛ ويشعره بأنه فى الخلوة معه ، يرى حركاته وسكناته ويعلم ما توسوس به نفسه ؛ فيستحى أن يطلع ربه منه على موقف شائن : فإن هو لم يكفه الحياء عن موقفه كفه الخوف من موقفه بين يديه يوم الحساب ، حتى إذا ما أحس بأن نفسه أقوى من أن يقاومها ، وأن شيطانه أخبث من أن يحتاط له ، لجأ إلى حمى ربه يستعيذ به من نفسه ومن شيطانه ، ويسأله الرعاية والحماية .

ومن هنا يجد المؤمن أسباب المقاومة ، ويملك عوامل السيطرة على النفس والشيطان ويستطيع أن يكون به إنسانا يتحكم فى طبيعته ، لا « حيوانا » تتحكم فيه الطبيعة .

* * *

نستطيع إذن أن نقول إن « البرهان » الذى رآه يوسف إنما هو « الإيمان » . . نعم هو الإيمان وحده . . ففى هذه اللحظة الحاسمة الذى يكون الإنسان على شفا الهاوية ، وفى هذه المعركة الحامية التى تآزرت عليه فيها كل قوى الشر ، وفى هذه الصورة الطاغية التى يندفع المرء فيها بلا وعى ولا شعور . . حضره إيمانه . . فذكره بكل ذى حق عليه ، ذكره بحق نفسه ، وحق ربه ؛ وحق سيده ، وحق المجتمع الذى يعيش فيه ؛ وصور له بشاعة الجريمة ووخامة العاقبة ، وتفاهة اللذة وخساسة الهدف . وصور له ما وراء ذلك من سوء السمعة وسقوط المروءة وعذاب الضمير « فاستعصم » بإيمانه ، واستمسك به كما يستمسك الغريق بكل أسباب النجاة ، واتخذه سلاحا يقاوم به نزوة الشباب وثورة العاطفة .

فلولا أن يوسف حضره إيمانه فى تلك الساعة الحرجة ، لكان منه ومنها ما يكون بين الرجل والمرأة من التلاقى الطبيعى والاندفاع الغريزى ، ولما كان هناك ما يحول دون وقوع هذه الظاهرة الاجتماعية ، باعتبارها نتيجة طبيعية لاجتماع الذكر بالأنثى ، فى فرصة مهيأة وظروف مواتية ، لكن الإيمان هنا كان هو الحائل دون وقوع هذه الظاهرة ، وكان هو الوقاية دون بلوغ الأمر إلى غايته الطبيعية .

فالإيمان إذن هو الحارس الأمين الذى يحول بين المرء وبين طبيعته ، وهو الذى يقاوم هذه الطبيعة إذا طغت ، ويقومها إذا اعوجت . وبمقدار ما يكون من حضور هذا الحارس أو غيابه يكون تنزه الإنسان عن مراتع الفساد . وهذا مبدأ ثابت يقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وفى حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار ، فسدت عليهم الصخرة الباب ، فجعلوا يدعون الله بصالح أعمالهم لينقذهم ، نرى أثر الإيمان

واضحا فى ذلك الرجل الذى جعل يراود ابنة عمه ، ويستغل حاجتها إليه ، حتى اضطرها أن تسلم إليه نفسها . . حتى إذا قدر عليها وجلس منها مجلس الرجل من المرأة قالت له: «ياعبدالله، اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه » ، فانصرف عنها وهى أشهى ماتكون إلى نفسه .

فى هذه القصة يسجل القرآن الكريم هذه الظاهرة الاجتماعية ، لا على أنها أمر قد وقع ، ولا على أن يوسف عليه السلام قد هم بهذه المرأة ، كما تقول كثرة المفسرين . . بل على أنها أمر طبيعى الحدوث بين الرجل والمرأة حين يجتمعان فى خلوة مالم يكن هناك وازع من الإيمان يحول دون وقوعه .

والقرآن الكريم إذ يقص علينا هذه القصة يسجل لنا هذه الظاهرة فى صورة من الواقع ، ليبين لنا أثر الإيمان فى حياة المؤمن وأن المؤمن يستطيع ـ إذا استعصم بإيمانه ـ أن يملك زمام نفسه ، وينتصر على شهواته ، حتى فى أحرج المواقف وأشدها انزلاقا إلى مهاوى الإثم ، وليبين لنا كذلك أثر الاعتصام بالإيمان فى كرامة الرجل وفى ثقة الناس به ، وما يكون لذلك من أثر فى مستقبل حياته . . فهى صورة حية يرسمها القرآن الكريم لشباب المسلمين ليروا فيها المثل الأعلى لطهر الشباب وأمانته وصدق إيمانه ، وقدرته على التماسك والصمود أمام فتنة الهوى .

القرآن والعلم الحديث

هذا كتاب قيم ألفه الأستاذ عبد الرازق نوفل الذى شغل نفسه مع زملاء له من الكاتبين بمهمة بيان التوفيق بين الدين والعلم ، وقد أصدر الأستاذ قبل ذلك كتابيه (الله والعلم الحديث) و (الإسلام والعلم الحديث) ثم أتبعهما بهذا الكتاب الثالث (القرآن والعلم الحديث) وهو حلقة جديدة من سلسلة البحوث القرآنية العلمية التى كتبها علماء سابقون أو لاحقون ، فأبانوا وجوها من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

وقد بذل الأستاذ نوفل فى كتابه مجهوداً يستحق التقدير والنظر ، وهو يرسم فى صدر كتابه منهاجه فى البحث فيقول : «وقد توخيت فى معالجة تفسير هذه الآيات الشريفة أن أربط بينها وبين ما أوضحه التقدم العلمى من حقائق أصبحت ثابتة بحيث لا تقبل الجدل أو الشك ، وقد يكون للآيات تفسير غير ذلك تحمله لنا الأجيال القادمة ، والله أعلم ، فإن من ضمن أدلة إعجاز القرآن أن تجده مختلف الأجيال موضع الإعجاز ، وأن يفسر فى كل زمن بما يحقق الهدف من إعجازه» .

ونحن نرجو أن تجد هذه الدراسة القرآنية العلمية ومثيلاتها إقبالا وعناية من جمهور المسلمين ، ليزدادوا تفقها فى دينهم ، كما نرجو للمؤلف الفاضل مزيدا من التوفيق فى بحوثه وخدمته للإسلام .

أيها الحجاج

أيها الحجاج ... يا ضيوف بيت الله الحرام

ستذهبون إلى حرم الله طائفين، عاكفين، ركعاً سجوداً؛ وستقفون بعرفات حيث وقف رسول الله محمد بن عبد الله عليه صلوات الله ينادى بأن الشيطان يئس أن يعبد فى هذه الأرض، ويبين أن دولة الوثنية فيها قد انتهت بلا عودة، وأنه لا وثنية بعد اليوم فى بلاد العرب التى طهرها الله من رجس الشيطان.

وستذهبون من بعد ذلك — إن لم تكونوا قد ذهبتم من قبل — إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال.

وعندما تدخلون إلى رحابه النورانى، وتحسون بأنكم فى حضرة خير البشر، الذى اصطفاه الله لهداية أهل الأرض، ستفاجأ أعينكم — فى وسط الزخارف الهندسية، والأضواء الكهربائية، والفرش المبثوثة — بستائر رثة بالية، أحاطت بأطهر مكان فى ذلك المسجد، وهو المكان الذى فيه جثمان الرسول الطاهر.

لقد تركوا هذه الستائر تبلى، مع أن هنالك ستائر منسوجة، ولكنهم خزنوها وتركوا تلك التى تقذى بها العيون، ولماذا؟ ... لأن هنالك ناساً ضاق أفق تفكيرهم، وظنوها وثنية.

فلماذا لا تنزع هذه الستائر البالية، وتوضع مكانها الستائر الجديدة المخزونة من زمن بعيد، حتى لا نجرح شعور المسلمين، ونثير فيهم سيء الظنون؟.

وفق الله ولاة الأمور لعلاج هذا الأمر بما تقتضيه الحكمة، ويتطلبه توقير الرسول عليه الصلاة والسلام.

رئيس التحرير

بقلم محمد محمد أبو شهبة

دفاع عن السنة

عرض بعض الباحثين فى كتاب له لترجمة الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه، فيما يربو على خمسين صفحة، ولم يدع منقصة ولامذمة إلا ألصقها به، وعلى أن الفصل معقود لأبى هريرة فقد نال من غيره من الصحابة كما نال منه وجرحهم كما جرحه وتهكم بجمهور أهل العلم الذين قالوا: إن الصحابة كلهم عدول، وقوّلهم مالا يقولون.

لذلك كان لزاما على أن أكتب كلمة عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأضع الحق فى نصابه فى هذا الموضوع.

منزلة الصحابة فى الإسلام:

الصحابى فى عرف العلماء وأئمة الحديث هو من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك، فمن ارتد ومات على ردته بطلت صحبته، ومن تاب وعاد إلى الإسلام عادت إليه الصحبة على الأصح، وكذلك من أظهر الإسلام وأبطن الكفر من أهل النفاق بمعزل عن شرف الصحبة، وقد تكفل الله ورسوله بالكشف عن نفاق هؤلاء. والجمهور من العلماء على أن الصحبة لا يشترط فيها طول الوقت ولا الجهاد والإنفاق فى سبيل الإسلام، وبعض العلماء اشترط فى الصحبة طول الملازمة والمعاشرة وأن يكون غزا مع النبى غزوة أو غزوتين. ومع أن الجمهور من العلماء على عدم اشتراط طول الصحبة أو الغزو أو الإنفاق إلا أنهم يرون أن من طالت صحبته بالنبى أو سمع منه أو غزا معه أو بذل نفسه وماله فى سبيل نصرته أحق بالفضل وأولى بالتقديم ممن ليس كذلك، قال الحافظ ابن حجر فى شرح نخبة الفكر: «لا خفاء برجحان رتبة من لازمه صلى الله عليه وسلم وقاتل معه أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه أو يحضر معه مشهداً وعلى من كلمه يسيراً أو ما شاه قليلا أو رآه على بعد أو فى حال الطفولة وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع ومن ليس له منهم سماع منه فحديثه مرسل من حيث الرواية وهم مع ذلك معدودون فى الصحابة لما نالوه من شرف الصحبة(١)». ويشير إلى هذا المعنى قول الله تعالى: «لَا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا

---

(١) شرح النخبة ص ٣٧ .

وعَدَ اللهُ الْحُسْنَى واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »(١)

والصحابة كلهم عدول عند جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين ، ومعنى عدالتهم أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور ، وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصى أو من السهو أو الغلط ، فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم ولم يخالف فى عدالتهم إلا شذاذ من المبتدعة وأهل الأهواء لا يعتد بأقوالهم وآرائهم لعدم استنادها إلى برهان ولا يتسع المقام الآن لذكر آرائهم ومناقشتها وبحسبنا هذا الإجمال والإيجاز فى هذا المقام .

وعدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله سبحانه لهم وإخباره عن طهارتهم وأنهم خير الأمم وأوسطها وأزكاها وأتقاها قال تعالى « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » الآية(٢) والوسط هم الخيار العدول أو الوسط من كل شىء خياره وأعدله وقال تعالى: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ »(٣) وليس من شك فى أن الخطاب فى الآيتين يدخل فيه الصحابة دخولا أوليا ، وقال تعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ » الآية(١) وقال « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » الآية(٢) وقال « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » الآية(٣) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تزكيهم وتشيد بفضلهم ومآثرهم وصدق إيمانهم وإخلاصهم وسمو أخلاقهم ؟ وأى تزكية بعد تزكية الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ؟ ومن أصدق من الله قيلا ؟ وأيضا فقد نوه بعدالتهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ودعا إلى معرفة حقوقهم وإكرامهم وعدم إيذائهم والتهجم عليهم لما لهم من الأفضال والفضائل ففى الصحيحين مرفوعاً : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة المعتمدة أنه قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم » الحديث . وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » وروى البزار فى مسنده بسند رجاله موثقون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن

---

(١) الحديد الآية ١٠ . (٢) البقرة الآية ١٤٣ .
(٣) آل عمران الآية ١١٠ .

(١) التوبة الآية ١٠٠ . (٢) الفتح الآية ١٨ .
(٣) الفتح الآية ٢٩ .

الله اختار أصحابى على الثقلين سوى النبيين والمرسلين » . والواقع التاريخى يؤيد هذا الحديث كل التأييد وإنما يعلم ذلك حق العلم من اطلع على تاريخ الصحابة وسيرهم وما كانوا عليه من العلم والعمل والتقوى وطهارة الأخلاق والترفع عن الأهواء والشهوات ، وقد كان كبار الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدون يعرفون هذا الفضل لكل صحابى وإن لم يكن له من الصحبة إلا الرؤية ... وقد روى أنه جيء للفاروق عمر رضى الله عنه برجل بدوى قد هجا الأنصار فقال لهم : « لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى ما نال فيها لكفيتكموه ولكن له صحبة منه » فها هو عمر على صرامته فى الحق قد توقف عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه حظى بشرف الصحبة .

على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة وترك الأهل والمال والولد والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء فى سبيل الله – القطع بتعديلهم واعتقاد نزاهتهم وأمانتهم وأنهم كانوا أفضل من كل من جاء بعدهم . وقد عرف أئمة الإسلام كل هذا للصحابة روى الحافظ أحمد البيهقى أن الإمام الشافعى — وهو من هو ديناً وعقلا وعلماً وألمعية — ذكر الصحابة فى رسالته القديمة وأثنى عليهم بما هم أهله ثم قال : « وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا »(١)

وقال الإمام أبو زرعة الرازى : « إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى ذلك إلينا كله الصحابة ، وهؤلاء — يريد الزنادقة وأشباههم – يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة » وما أحكمها من كلمة ألقى بها الله سبحانه على لسان أبى زرعة رحمه الله ولا يدخلن الشك إلى نفسك ما روى من مراجعة الخليفتين أبى بكر وعمر لبعض الصحابة فى مروياتهم وطلبهم شاهداً ثانياً ومراجعة بعض الصحابة لبعض ، فذلك ليس لتهمة ولا تجريح وإنما هو أمر لزيادة اليقين والتثبت وقد وضع الخليفتان الراشدان بهذا التحوط البالغ والتثبت المحمود المنهج السليم فى التثبت فى الرواية . وليس أدل على هذا من قول عمر رضى الله عنه لأبى موسى الأشعرى وقد طلب منه أن يأتى بمن يشهد أنه سمع ما روى عن رسول الله قال الفاروق : « أما إنى لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله » فهل بعد هذا القول الصريح يتهم الصحابة متهجم ويتظنن ظان ؟ ؟ .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦٣ .

ندوة لواء الإسلام

الحياة الآخرة

فى مساء الثلاثاء ١٣ شوال سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٥٩م انعقدت ندوة لواء الإسلام « بدار لواء الإسلام » .

وقد حضرها الأساتذة : أحمد حمزة ، محمد المفتى الجزايرى ، محمد الشافعى اللبان ، صبرى عابدين ، أمين عز العرب ، مصطفى ربيع ، عبد المنعم هلالى ، محمود سابق ، سليم أبو العلا ، عيسى أبو طالب ، حسن نصر ، عبدالعزيز فهيم ، حامد الحارث ، محمد سابق.

والأساتذة : محمد البنا ، محمد أبو زهرة ، عبد الوهاب حمودة ، الدكتور عبد العزيز عامر ، محمد توفيق عربه ، أحمد الشرباصى ، محمد محمد أبو شهبة ، محمد على شتا .

وقد بدأ الندوة الأستاذ أحمد حمزة بالكلمة التالية :

الاستاذ أحمد حمزة :

استأثرت رحمة الله تعالى بالمسلم الغيور والباحث الكبير المرحوم الدكتور منصور فهمى الذى طالما شارك بحضوره وأفكاره فى ندوات لواء الإسلام، مما سجلته صفحات مجلة اللواء ، وكان له أطيب الأثر فى نفوس سامعيه وقرائه ، وإنه ليعز علينا أن نفقد هذا الراحل الكريم ، الذى كان يمتاز بصدق دفاعه عن الإسلام ، وغيرته على حرماته ، بعد أن تبين له بالبحث الطويل ، أنه الدين الحق الذى يهدى الناس إلى سواء السبيل . رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

الاستاذ محمد البنا :

لم أكن أعرف المرحوم الدكتور منصور فهمى معرفة تهيىء لى الكلام فى مناقبه ومآثره ، ولكنى سمعت ونحن فى ضحوة العمر أن فتى رجع من باريس ، وكان يطلب العلم بها ، فأخذ إحدى وسائله إلى الشهرة أن يطعن فى مقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأن حوله فئة ممن تعلموا فى باريس ، ونقلوا

منها إلحادها ، فكنا نحرق الأرم على هذه الفئة ، وكان أحدنا يود لو قابل هذا الفتى ، وفتك به فتكا ؛ ثم ضرب الدهر ضرباته ، وإذا بالدكتور منصور فهمى يشتغل فى جمعية الشبان المسلمين ، وجاءنى مرة يدعونى لألقى كلمة فى هجرة الرسول ، وكان الخطيب الآخر فى تلك الليلة هو الأستاذ المبرور المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم ، ومما قاله فى تلك الليلة قال : إنه لشرف المقام لم أرض أن أرسل إليك رسولا ، وجئت إليك بنفسى ، فذهبنا إلى الجمعية وألقيت كلمتى ، والمهم أن الدكتور منصور فهمى أخذ يعلق على الكلمات تعليقاً عجيباً ، وكان إلى تلك الليلة ما يزال فى نفسى شىء من منصور فهمى ، فلما رأيته يعلق على الكلمات ، ويندفع فى سيرة الرسول اندفاعا غير متكلف ، علمت أن الرجل اتخذ إلى ربه سبيلا . وقد انتظم فى سلك هذه الندوة منذ بدئها ، وكان له فيها جهد وفير .

وإنى أسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ، وأن يكرم مثواه فى التائبين العابدين .

الاستاذ صبرى عابدين :

لقد عرفت المرحوم الدكتور منصور فهمى فى عام ١٩٢٦ إذ دعيت لحضور محاضرة فى دار الرابطة الشرقية بالقاهرة للأستاذ الزنكلونى ، وموضوعها حاجة بنى الإنسان للدين ، وأذكر أننى جئت فوجدت جماعة منهم الدكتور منصور فهمى ، وأخذوا يتحدثون فى موضوع المحاضرة حتى جاء موعد المحاضرة ، فقام رئيس الجمعية وقال : إن محاضرنا الليلة أشهر من أن يقدم ، ولكن كلمة الرابطة فى تقديم فضيلته للدكتور منصور فهمى ، فتقدم الدكتور ، وإذا بنا نفاجأ به رحمه الله فى تقديمه للشيخ الزنكلونى كأنه يلقى المحاضرة عن حاجة الناس للدين ، بالحجة والبرهان والمنطق ، وهنا كان موضع العجب ، لأن الدكتور منصور فهمى لم يشتهر فى ذلك الوقت بأنه يتجه اتجاهاً إسلامياً . هذه أول مرة رأيت فيها الدكتور عليه رحمات الله ، ومن هذه الجلسة صارت بيننا مودة وألفة .

ولقد كان الدكتور يشارك فى الندوات الإسلامية وفى الجمعيات الإسلامية ، ولقد كان له — رحمه الله — فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ باعتباره سكرتيراً عاما لجمعية الهلال الأحمر المصرى مواقف وطنية جريئة مشهورة .

فأقدم باسم فلسطين العربية المجاهدة الجريحة وباسمى واسم إخوانى أعضاء الهيئة العربية العليا ، أقدم للندوة ولآل الفقيد ولمصر العزيزة التعزية فى الرجل الذى عرف الحق ، فانقاد إليه ، والذى آمن إيماناً منطقياً عملياً وخرج من الدنيا راضياً مرضياً .

الاستاذ محمد ابو زهرة :

أريد أن أتكلم عن الدكتور منصور فهمى وطنياً وجامعياً وعالماً ، فقد التقيت به حيث كان يخطب خطبة وطنية فى آخر سنة

١٩١٩ ، فوجدت رجلا مديد القامة يلقى خطبة بصوت متهدج جياش ، يصل إلى النفوس ، فسألت : من الرجل ؟ فقيل لى : منصور فهمى ، وكان يُذكر اسم رجل آخر وهو مرقص فهمى ، فقلت لمن بجانبى : أهذا هو الذى يقولون إنه كان محامياً ؟ قال : لا ، إن هذا مسلم ، فقاطعنا ثالث وقال : ولكنه ملحد ، ولكنى مع كل هذا أنست فى الرجل معنى كنت أتمنى له الهداية بعد هذا الضلال ، واتصلت به بعد ذلك تلميذاً له ؛ ذلك أنه فى آخر سنة ١٩٢٠ عين مدرسا للفلسفة بالجامعة المصرية ، فكان يلقى هذه الدروس وبأسلوب عربى فصيح يجمع بين المحاضرة والخطابة ، وكانت تبدو منه عبارات أحياناً لا تخلو من انحراف ، ولكنه سرعان ما يطويها طياً ويسترسل ، ولا يلج فى الدعوة إلى الشر كما يفعل غيره من زملائه الذين ما زلنا نسمع منهم ذلك الضلال إلى اليوم . بعد ذلك التقيت بفضيلة مولانا السيد محمد الببلاوى رحمة الله عليه ، فذكرت له ما أحس به نحو ذلك الرجل فقال : إنى لأرجو ما ترجو لأن حسنى ، وهو عندنا من الأشراف الحسنيين الثابتى النسب ، فقلت له : إذن فإنى مطمئن بأن ذلك الرجل سيهديه الله سبحانه وتعالى .

وأعتقد أنه لو لم يشتهر بالإلحاد ، ولو لم يناوئه ناس بأنه ملحد ، لسارع إلى الهداية .

بعد ذلك علمت أن الله تاب عليه .. وهو فى الجامعة كان حصن الإسلام من سنة ١٩٢٧ إلى أن تركها فى سنة ١٩٣٥ ، ولعل من مآثره أن كلية الآداب كانت أول كلية كثر فيها الطالبات مع الطلبة ، فأصر على أن يكون للطالبات غرفات خاصة للدراسة ، واستمسك بذلك ، ولم يحدث الاختلاط إلا بعد أن ترك الدكتور منصور الجامعة .

لقد أدخل الله الإيمان إلى قلب منصور فهمى بعد أن أكثر من قراءة القرآن وتعمق فى دراسة البخارى ، ولقد قلت مراراً فى غير حضرته إنه آمن كما آمن الراشدون ، لأنه لم يرث الإيمان ميراثا بل اعتنقه بالحجة والبرهان. رحمه الله ورضى عنه وأثابه بمقدار إخلاصه وبأكثر من عمله .

الاستاذ امين عز العرب :

هناك فارق بين الإسلام التقليدى ، وبين أن يؤمن الإنسان عن عقيدة وبعد بحث وبينة ، وما من شك فى أن هذه علامة من علامات رضاء الله عن منصور فهمى وحبه له ، أحبه الله فهداه ، وقضى شطراً طويلا من حياته مؤمناً بالله وبكتبه وبأنبيائه ، ولعل فى هذا درسا عظيما للذين يتشككون من شباب اليوم ليفهموا أن الباب مفتوح أمامهم على مصراعيه ليقرأوا ويدرسوا فيؤمنوا كما آمن منصور فهمى وختم الله حياته أحسن ختام .

الاستاذ احمد حمزة

ينكرك بعض الناس أن هنا حياة بعد

هذه الحياة الدنيا ، ويقولون إن الإنسان ينتهى بانتهائها . ويقول آخرون إنه إذا كانت هناك حياة أخرى فإنها تكون للأرواح لا للأجسام . فما رأى الندوة فى هذا ؟ .

الاستاذ محمد البنا

خلاصة السؤال أن بعض الناس ينكر البعث ، وبعضهم ينكره بالأجسام ، ومن الناس من لا يؤمن إلا بما يرى أو يحس ، ولكن من وُهب نوراً فى البصيرة فهو يؤمن بروحه أكبر مما يؤمن بحواسه ، لذلك وجدنا هذا الخلاف بين الناس قديماً فمنهم من أنكر ومنهم من أقر ، حتى وجدنا كثيراً من الوثنيين الذين لا يدينون بدين يؤمنون بالبعث وبعث الأجسام .

أما المليون جميعا فإنهم يؤمنون بالبعث وإن اختلفوا فيه ، فالنصارى واليهود يؤمنون بالبعث ، ولكنهم أفسدوا فائدة البعث وعطلوها ، فالنصارى قالوا إن البعث حقيقى ولكن المسيح صلب وخلص الناس من الخطيئة ، ومعنى هذا أن المسىء لا يعاقب على إساءته ، فهم إذن أفسدوا فائدة البعث ، وأما اليهود فهم كعادتهم تغالوا فى المسألة ، وهم من عادتهم الأثرة وحب شعبهم ونفوسهم فقالوا: البعث والجزاء لا يكونان إلا لليهود ، وقالوا إنهم خلق الله ، وإن الشعوب جميعا ليست بخلق ، لأنها حيوانات .

أما الإسلام فقد جاء بإصلاح هذه العقيدة كما أصلح كل شىء ، قال إن البعث والجزاء والحساب لكل نسمة ، ولكل إنسان يتنفس وكل إنسان مجزى بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وقال تعالى : « وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » .

وإذن فقد جاء الإسلام بأن هذا البعث هو الذى جاء فى الدين الأول ، الذى جاء به أبو البشر آدم ونوح وأبو الأنبياء إبراهيم ، قال: إن البعث لجميع الناس وسيجزون بأعمالهم .

كان مشركو العرب ينكرون هذه العقيدة ويعاندون فيها عناداً شديداً ، حتى كانوا يتهكمون بها ولذلك جاء الإسلام بهذه العقيدة وجعلها مكملة للايمان بالله وسوله ؛ وجعلها سبباً فى صلاح الناس ، لأن الإنسان إذا كان يعلم أنه يجزى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فطبيعى لا يقترف منكرات ولا يرتكب شراً ، ويقبل على الحق وعلى الخير وعلى الحسنات ، والإسلام خاطب العقول والبصائر خطاباً مقنعاً : « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ »

معنى هذا أن الإنسان يجب عليه أن ينظر فى شأنه ، لأنه خلق مستعداً لعلوم لا نهاية لها ولا حصر ، فلا تكون نهايته أن يلقى فى التراب . هذا مناف للعقل ، وهو يريد أن يقيم الدليل على هذه العقيدة من الناحية العقلية أيضاً ، لا من الناحية النقلية فقط ، فجاءت هذه الآية تغزو العقول ، ثم قال أيضاً إنكم فى حياة منغصة بآلام وأوجاع ، وأنتم تؤدون أعمالا فى هذه الحياة : واحد يظلم ، وآخر

يعدل ، واحد يقدم حسنات ، وآخر يقدم سيئات ، وقد يكون صاحب الحسنات أحيانا هو المهضوم المظلوم ، وصاحب السيئات المعزز المكرم ، فهل هذا من عدل الله أو من حكمة الله ؟.. لا يمكن .. يجب أن يكون هناك يوم يقام فيه الميزان العادل بالقسط ؛ وهناك ناس ينكرون بعث الأجسام ويطلقون عليهم الفلاسفة أو الحكماء .

وأبو العلاء المعرى حاج هؤلاء الناس بحجة لطيفة ، قال:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجسام قلت : إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولى فالخسار عليكما

هذه حجة إقناعية ، وهو كلام شاعر فيلسوف ، لكن انظروا إلى القرآن المقنع : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » . وقال كثير من العلماء إن ثلث القرآن تقريباً فى البعث والبعث الجسمانى . ثم هو يحاج هؤلاء جميعاً بحجج ما أخصرها ولكن ما أغزر معانيها : « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » .

أما القول بأن العذاب والنعيم للأرواح وأنه لاداعى إلى بعث الأجسام فهذا قول يكاد يكون من الهراء ، ولقد نسوا أنه إذا كان البعث للأرواح فيكون قد نقص من ملك الله ذلك المخلوق المكرم المعظم الذى كرمه الله وهو الإنسان ؛ لأن خلق الله منه أرواح تحس باللذائذ المعنوية ، وأجسام تحس باللذائذ الحسية ، وخلق مركب من هذين ، وهذا الخلق هو الإنسان ، فإذا عادت الأرواح فقط فلا يكون هناك داع لأن ينقص هذا القسم الثالث من ملك الله . هؤلاء يقولون بما نقل عن فلاسفة الهنود ، وقالوا إن الدنيا ليس فيها مادة ، وإن المادة خاصة بالحيوانات. وهذه الفاسفة فلسفة فاسدة لاقيمة لها فى نظر الإسلام ، والأدلة كلها قائمة على أن البعث للروح وللجسم ، نعم الإسلام يقول إن الروح يوم القيامة أو بعد البعث سيكون لها النصيب الأوفر فى التحكم فى الجسم وتصريفه ، أعنى أن الأمر سيكون روحانياً أكثر ، لأن اللذائذ التى سيذوقها الإنسان بعد المات أكثرها لذائذ معنوية ، حتى إن القرآن قال إن أكبر لذة يذوقها الإنسان بعد المات هى رضوان من الله أكبر . ثم مما يدل على أن الأرواح فى ذلك الوقت هى المتصرفة أن الإنسان سينتقل فى الأمكنة المختلفة بدون أزمنة .

وخلاصة قولى : إن من ينكرون البعث لهم آذان لايسمعون بها ، ولهم قلوب لا يفقهون بها ، ولاحيلة لنا مع هؤلاء ، أما البعث فهو عند العقلاء ثابت قطعاً .

الاستاذ صبرى عابدين :

إذا قرأ الإنسان القرآن يجد فيه إثبات البعث وإثبات الحشر للأجساد وإثبات

النعيم والعذاب للأجسام نفسها ، والقرآن يثبت أن الحشر والجزاء ليس خاصاً ببنى الإنسان فقط بل بالجن .

يقول عز وجل : « وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ » .

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يدع هذه الآيات بدون تفسير ، بل جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يحشر الناس حفاة عراة غرلا (أى يعود للذكر محل قطع الحشفة) كما بدأنا أول خلق نعيده » فقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : أينظر بعضنا الى بعض؟ فأجاب النبى صلى الله عليه وسلم : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » . وفى رواية « إن لهم ما يشغلهم » .

فالنبى صلوات الله عليه بين هذه المعانى وأن الناس يخرجون من قبورهم ويحشرون بأجسامهم حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ، والمولى عز وجل فى كتابه لم يدع مسألة الحشر والإعادة بعد الموت بدون أمثال . تجدون فى القرآن بعض القصص التى تشير إلى أن المولى عز وجل أمات بعض المخلوقات وأحياها : « أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » .

وهذا إبراهيم الخليل يطلب إلى الله أن يريه كيف يحى الموتى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . فالله يذكر هذه الأمثال لنعرف أن الإعادة جثمانية ... وأما الجزاء فآيات القرآن منها مئات فى أن الله يجعل للأبرار زوجات من الحور العين ، وأنهم فى غرف عالية ، وأنهم يجدون الثمرات والقطوف الدانية .

كل مسلم يعتقد أن البعث لابد أن يكون ، وهو ركن من أركان الإيمان الأساسية ، ويعرف أن الحشر يكون للأجساد وأن النعيم للأجساد مع الأرواح .

الاستاذ أمين عز العرب :

المسألة مسألة الإيمان بالقرآن وتصديق كتاب الله ، فإن كان الذين يسألون قد قرأوا القرآن ، فلا مناقشة معهم بعد أن تبينوا ما فيه ، وإن كانوا لم يقرأوه فليعودوا إليه وليتلوا القرآن ، لأنهم سيجدون فيه رداً على كل شيء يقنعهم إقناعاً تاما ، بأن البعث بالأجسام والأرواح ، وأن النعيم للأجسام والأراوح ... فى كتاب الله من الآيات البينات قوله تعالى : « وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » . « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ » . وقوله تعالى: « إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ » .

وقوله تعالى : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا » .

وقوله تعالى : « أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ » فالبعث والحساب كل ذلك بالأجسام والأرواح ، والله أصدق القائلين ، وهو الحكم الفيصل فى هذا .

وأشار الأستاذ صبرى إلى الحوادث التى وقعت لمن مر على قرية ، ولسيدنا إبراهيم ، وهناك طائفة من بنى إسرائيل أماتهم الله ثم أحياهم .

أريد أن أقول إن النعيم والعذاب بالأجسام والأرواح معاً ، والأوصاف التى أعطيت للجنة والتى أعطيت للنار تدل بطبيعتها على أن الساكنين فى كل من الجنة أو النار يسكنونها بالأجسام ، وأى غرابة فى هذا والجنة مخلوقة وموجودة فعلا الآن؟ وهذا ما أومن به ، والنار موجودة فعلا الآن ، وفى كل وصف لها يقول الله تعالى : « أعدت » .

ومع ذلك مالنا نذهب بعيداً وآدم أبو البشر عليه السلام خلق وأسكن هو وزوجته الجنة ، وأهبط منها لحكمة أرادها الله . وهى أن يعود بنو آدم إلى الجنة باستحقاقهم بعمل الخير ، ويذهب الضالون إلى النار بسوء عملهم . ألم يقل لآدم وهو فى الجنة : « كُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا » ؟ آدم كان يأكل ويلبس فى الجنة ، وأولاده الصالحون يعودون إلى الجنة بأعمالهم ، يأكلون ويعيشون ويتمتعون . ثم هذا المتاع الذى ذكر لأجل الجنة ، وهو ما لا يمكن لعقولنا أن تدرك من أوصافه إلا ما رأينا مثيله فى الدنيا ، وهو يفوق كل مثال ، فيه ثياب من سندس خضر واستبرق ، فيه ثياب من حرير . هل الأرواح تلبس ؟ . فيه يأكلون ، فيه يشربون رحيقاً مختوماً ، فيه حلى وأساور من ذهب وفضة ، فيه الأرائك المصفوفة والسرر المرفوعة

والأكواب الموضوعة ، والفاكهة التى ليست مقطوعة ولا ممنوعة ، واللحم الطرى ، والعسل واللبن ، والخمر لذة للشاربين . . هل يكون هذا كله للأرواح ؟.

وإلى جانب هذا النعيم الجنسى . .

أليس هذا المتاع متاع الجسم والروح ؟

أنتقل بعد ذلك إلى دار العذاب ، وقانا الله جميعاً منها . . السلاسل والأغلال والأصفاد والمقامع من حديد . . هل هذه للأرواح . . فهناك الأدلة قاطعة لمن يقرأ القرآن ببساطة ، ولا يريد أن يذهب إلى نواح فلسفية ، تطغى به وتذهب به إلى الهاوية ، فيجب أن يؤمن كل مسلم بأن البعث بالأرواح والأجسام وأن النعيم والعذاب للأرواح وللأجسام .

الدكتور عبد العزيز عامر :

من الأسس الهامة فى بحث هذا الموضوع أن نكون مؤمنين بالله ، وأن نؤمن بالكتاب والسنة إيماناً حقيقياً عن اعتقاد .

فمسألة البعث والنشور حقيقة لا جدال فيها وذلك لأن جمع أشتات الإنسان وذرات جسمه بعد وفاته أمر ممكن فى ذاته ، ثم إن الله سبحانه وتعالى وسعت قدرته كل شىء ووسع علمه كل شىء ، فهو يعلم مصير هذه الذرات ، وقادر على أن يجمع أشتاتها ، وأن ينشىء من هذه الذرات خلقاً جديداً ، وهو سبحانه وتعالى يقول : « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » . ويقول : « وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » فظاهر من هذه الآية أن إعادة الخلق أسهل على الله سبحانه وتعالى من بدئه ، وهو قد بدأه لا مرية فى ذلك ، فإذا كان هذا أمراً ممكناً فى ذاته وعرفنا أن قدرة الله وعلمه يسعان كل شىء ، ووجدنا فى الكتاب وفى السنة النصوص الصريحة على البعث كان لزاماً علينا أن نصدق هذه النصوص .

والنصوص كثيرة أذكر منها قوله تعالى :

« وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ » ، « اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ » ، « وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » وقوله وهو ظاهر فى أن البعث يكون بالأجسام :

« يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ » وقوله « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا » . .

وفى السنة أحاديث صحيحة على أن البعث حقيقة ، ومنها أحاديث على عذاب القبر ، وأحاديث عن الجنة والنار وعن القيامة وقيامها وأهوالها وشدائدها منها قوله صلى الله عليه وسلم : « يجىء النبى معه الرجل ويجىء النبى ومعه الرجلان ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » . وقوله : « يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم قريبا من فتنة الدجال » . وفى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل حرثاً لبنى النجار فسمع أصواتهم يعذبون فى قبورهم فخرج مذعورا وقال : «استعيذوا بالله من عذاب القبر» .

وقد أجمع على هذا علماء الأمة ، وأذكر ماروى عن ابن عباس أنه قال فى قوله : « وشاهد ومشهود » الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة . والبعث أمر لازم عقلا لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه ووسع فى عقله ، وجعل له آفاقا لم يجعلها للمخلوقات على ظهر الأرض ، وهذا يلزم منه أن الإنسان سيحاسب على هذا العقل ؛ فيجزيه الله على حسب مايعمل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون شخص سليم النية منطوياً على خير الناس سائراً على الطريق المستقيم ، ويكون آخر مثلا سيئاً فى الشروق التهجم على الناس وعلى المعتقدات؛ ثم يسوى بين هذين الشخصين لسبب واحد وهو أن البعث أمر لا وجود له ولا حقيقة والعياذ بالله .

والذين يطلقون على أنفسهم الفلاسفة يقولون بحشر الأرواح دون الأجساد واستدلوا على ذلك بأن استحالة إمكان حشر الأجسام مرجعه عدم إمكان إعادة الشىء المعدوم ، وقالوا أيضاً كيف تجمع ذرات الإنسان وبعض هذه الذرات على سبيل المثال يأكلها شخص آخر ، فكيف يكون البعث بالنسبة لهذين الشخصين ؟ إما أن يعاد الجزء المأكول الى الشخص الذى أكل منه ، وبذلك تضيع قطعة من الشخص الآكل أو العكس .

فبناءً على هذا قالوا إن البعث بالنسبة للأجسام أمر مستحيل . ومما قيل فى الرد على ذلك أن كل إنسان له أجزاء أصلية فى بنائه لا تختلف طول حياته ، وهناك أجزاء تابعة ، فإعادة خلقه يكفى فيه الأجزاء الأصلية التى بها يكون هيكله وكيانه ـ أما عن كيفية إعادة الإنسان فطبعاً كانت محل خلاف بين العلماء ، فريق من العلماء قال إن البعث بعث جثمانى على أساس أنه خاص بالجسم وبالروح ، وأن الروح جسم لطيف يحل بالبدن حلول النار فى الفحم والماء فى الورد ، فالأساس عند هؤلاء أن الروح أيضا جسم يحل فى جسم الإنسان ، فيكون البعث الجسمانى ما تعلق منه بالروح وما تعلق بالجسد ، وهذا هو الذى عليه الجمهور ، وقال آخرون إن البعث بعث روحانى وجسمانى ، وكلا الرأيين معتبران لأنهما من آراء أهل السنة .

وإنى أدعو الله أن يهب المسلمين القوة ويهب القائمين على الأمر القوة لردع الملحدين ، لأننا فى عصر يجسم فيه كل أمر فيه تهجم على الدين ، ولا يمكن أن يكون تهجم على الدين أكثر من إنكار البعث ، لأنه إنكار للكتاب والسنة ، وإنكار لكل المبادىء التى أتت بها الأديان .

الاستاذ محمد محمد ابو شهبة :

هناك طوائف لاتؤمن بالكتاب والسنة ومثل هؤلاء علينا أن نجادلهم بالعقل والمنطق لأن من يؤمن بالقرآن والسنة قد كفانا القرآن والسنة مؤونتهم ، فهما صريحان فى أن البعث للجسم وللروح ، وهذا هو الذى ندين الله عليه . ولكن الفلاسفة قسمان : فلاسفة طبيعيون وهؤلاء ينكرون البعث ، وهناك فلاسفة إلهيون يقولون بالبعث الروحانى ، على معنى أن الروح ستعود إلى ما كانت ، محررة عن العوائق المادية ، وذلك أن الروح عندهم جوهر ، اقترنت بالجسم مدة ، فالبعث عندهم هى أن تنفك الروح عن هذا الجسم ، وانفكاكها يسمى عندهم بعثاً أو معادا باعتبار أن كلمة المعاد أعم من البعث .

هؤلاء علينا أن نناقشهم لأن هذا المذهب أخذ به الفلاسفة الإسلاميون ، ومن هنا هاجم الغزالى فلاسفة الإسلام وكفرهم ، لأن قولهم بالمعاد الروحانى إنكار للقرآن وللسنة ... هؤلاء نقول لهم بالعقل وبالمنطق : إن مذهبكم يترتب عليه أن يتساوى المسىء مع المحسن ، والعاصى مع المطيع ، لأن — على مذهبكم — كل الأرواح ستتجرد بعد الوفاة عن هذا الجسم وعن هذه العوائق المادية ، فعلى مذهبكم سيتساوى العاصى والمطيع ، وهذا فى منطق العقل غير مسلم . ونقطة أخرى أحب أن أتكلم فيها وهى ما عرض له الأستاذ البنا ، فالأديان جميعها اتفقت فى الأصول الثلاثة : وهى الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالرسل . هذا الكلام من ناحية النظر القرآنى صحيح ، ولكن لو نظرنا للتوراة نجد ظاهرة فى غاية الخطورة ، هذه الظاهرة هى أن التوراة الموجودة اليوم لم تعرض لليوم الآخر بحال من الأحوال ، وقد تحير بعض الباحثين من غير المسلمين فى هذه الظاهرة ، كما تحير فيها بعض الباحثين من المسلمين ، والذى يظهر لى ، والرأى شورى ، أن التوراة الأصلية التى نزلت من عند الله ، لا محالة كانت مشتملة على هذا الأصل ، الذى هو أحد الأصول الثلاثة .

فالذى يظهر لى أن هذا من عمل اليهود ، والذى حملهم على هذا التحريف هو مازعموه من أن الجنة قصر عليهم ، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى » ، ولكن هذه الفكرة عند اليهود أكثر ، لأنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، ويعتقدون أن الجنة خالصة لهم من دون الناس : ولذلك قال لهم الله : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . هذا هو الذى دعاهم إلى هذا التحريف ، لأنهم لو أبقوا التوراة على ماهى عليه ، لما تيسر لهم أن يقولوا

هذه المقالة ، لأن التوراة الأصيلة فيها أن كل من أحسن فهو يدخل الجنة ، وأن كل من أساء فهو يدخل النار سواء أكان من الشعب اليهودى أو من غير الشعب اليهودى .

الاستاذ احمد الشرباصى :

إننا نعرف أن من مصادر العلم والإدراك مصدر « الإلهام » الإنسانى العام، الذى يصير قدراً مشتركاً بين أكثرية الناس وأغلبيتهم ، ومن الأمور التى سيطرت على مواطن الإلهام بين أغلبية الناس أنهم يؤمنون بيوم آخر ، ويؤمنون بحياة ثانية وراء هذه الحياة الدنيا ... وملايين الناس الذين بحثوا وتفلسفوا وتدينوا يوقنون بهذه الحياة ، وإن اختلفوا فى تصورها ، ويعدون الموت رقدة تطول نوعاً ما ، ثم يعقبها البعث .

ولا شك أننا نستطيع أيضاً أن ندلل على مسألة البعث فى محيط المؤمنين بأن هذا مبنى على الإيمان بصدق الرسول ، وعلى أمانته فيما بلغه ونقله عن ربه، وقد قامت لدينا الشواهد من العقل والنقل على صدق الرسول وأمانته فيما نقله وبلغه من دين وعقائد وتعاليم ، وهذا الإيمان مع التسليم بالصدق والأمانة ، يقتضينا أن نؤمن بكل ما بلغنا من أخبار وأنباء عن هذا الرسول الصادق الأمين ، وفى طليعة هذا الذى نقله إلينا القرآن المجيد ، وهو حافل بالآيات المتحدثة عن البعث ، وعن الجزاء ومنها مثلا قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » . وكذلك نقل إلينا خبر البعث فى السنة وحسبنا منها قوله : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعاً ما غششتكم ، والله الذى لا إله إلا هو لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن على ما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا، وإنها الجنة أبداً، أو لنار أبداً » :

ومسألة الخلل الموجود فى هذه الحياة الدنيا قد عرض لها المتحدثون من جهتين ، وبقى لها جهة ثالثة ؛ عرضوا لها من ناحية استحالة التسوية بين المسىء والمحسن استحالة عقلية ، وعرضوا لها أيضاً من ناحية أن المقصر قد يتمتع فى الدنيا بخير وأن المحسن قد يصيبه فيها شر .

وبقيت ناحية ثالثة ، وهى أن هذه الحياة الدنيا تشتمل على ما نستطيع أن نسميه بالمظالم الواقعة على الغير ، فهناك أناس يعتدون على غيرهم ، ويظلمونهم ، ولا ينتصف أحد لهؤلاء الغير فى هذه الحياة ؛ ولا تنالهم يد القانون لأنها قاصرة ، ولا ينالهم الجزاء الإلهى، لأنه مؤجل إلى ميقات ، فهذه المظالم لو تركت دون إنصاف وانتصاف ، لكان معنى هذا أن الكون الوسيع العريض الذى تسيطر عليه سلطة حكيمة مدبرة ، قد أصابه ألوان كثيرة من الخلل لا تتفق مع النظام المتقن الموجود فى هذا الكون ، ولا مع حكمة السلطة المطلقة القدرة المسيطرة على هذا الكون .

وأبو العلاء المعرى قد التفت إلى هذا المعنى فرمز له على طريقته الشاعرية عندما قال :

خُلق الناس للبقاء ، فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقلون من دار أعمال
إلى دار شقوة أو رشاد !

ثم أنتقل إلى مسألة إمكان هذا البعث ...
وأروى فى هذا حديثا رائعا يعاوننا على الفهم العقلى للنص القرآنى فيما يتعلق بقدرة الله سبحانه وتعالى على البعث ، فعن أبى رزين العقلى قلت : يا رسول الله ، كيف يعيد الله الخلق ؟ وما آية ذلك ؟. قال : أما مررت بوادى قومك جدباً ، ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : نعم ، قال النبى : فتلك آية الله فى خلقه ، كذلك يحيى الله الموتى

وهذا يُفهم خير فهم فى ضوء قوله تعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتَى ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ». ثم يعقب الله سبحانه على تلك الآية تعقيباً عقلياً واعظاً زاجراً داعياً إلى حسن الحيطة ودقة الاحتراس ، حتى لا يفاجأ المرء بالحساب وهو غير آمن ، حينما يقول الله بعد الآية السابقة مباشرة : « إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ، أَفَمَنْ يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ».

ثم إننا نجد أن تصوير القرآن الكريم للنعيم والعذاب تصوير حسى مُجَسَّم واضح صريح ، والقرآن كتاب عربى يُفهم بلغة العرب وأسلوبهم فعندما نسمع قوله تعالى : «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ». ماذا نفهم منه ؟ نفهم بلغتنا العربية التى نزل بها القرآن المجيد أن هذا تصوير لنعم حسية . وعندما نجد تعبير القرآن المتكرر عشرات المرات فى وصف الجنة : « تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » أو «من تحتهم الأنهار» نفهم من هذا «التحتية» ومن الحديث عن « النهرية » هنا ، أنه حديث عن أشياء محسوسة ملموسة وفيما يتعلق بالعذاب نجد مثلا قوله تعالى : « لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، إنها عليهم مُؤْصَدَةٌ ، فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » . وهذا تعبير يفهم منه العربى الذى نزل القرآن بلغته أنه حسى . وأية حسية أصرح وأوضح من قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » ؟!. وكذلك يقول : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » فقال : قرة (أعين) فأشار إلى الأشياء المبصرة التى ترى بالبصر ، ولم يقل قرة أرواح أو اطمئنان قلوب.

وإنما ذكرت هذه الأمثلة لأن الذين يذهبون إلى الحشر الروحى يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون إن هذه الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن متعلقة بالبعث إنما هى رموز وظواهر

لجوهر البعث ، وهم يذهبون إلى هذا لزعمهم أن النعيم الحسى أمر حقير ، قائلين: ماقيمة أن نتمتع بالمآكل والمشارب والحور والخمور ؟ . إن النعيم الحق هو ماكان نعيما للروح . . وهم يريدون أن يقولوا إن هذا مستوى يرتفع إليه الخاصة ولا تفهمه العامة ، فخاطب القرآن العامة على طريقتهم الميسورة ، وحدثهم عن الأكل والشرب واللذات ... وأما الخاصة فهم يدركون أن النعيم هو نعيم الأرواح ... وكان هذا الكلام يقبل على العين والرأس ، لوأننا فهمنا من إسلامنا ، أو قرآننا ، أو سنة نبينا ، أن البعث بعث جسدى صرف ، أوأن اللذة فى الجنة لذة حسية فقط ، أما وعلماء الإسلام يقررون أن البعث جسدى روحى ، وأن نصيب الروح فى النعيم والعذاب أقوى من نصيب الجسد ، فلم يبق محل لهذا .

وفى كتاب « طريق الهجرتين » للإمام ابن القيم نجد هذه العبارة البليغة : « كمال النعيم فى الدار الآخرة أيضاً به سبحانه ، برؤيته ، وسماع كلامه ، وقربه ، ورضوانه ، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة فى الآخرة إلا بالمخلوق : من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح ، بل اللذة والنعيم التام فى حظهم من الخالق تعالى أعظم مما يخطر بالبال ، أو يدور فى الخيال ، وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان والحاكم فى صحيحيهما :(أسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة) ولهذا قال تعالى فى حق الكفار (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) . فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذى يعذب به أعداءه ، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التى ينعم به أولياءه ، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه » . ونحب أن نلاحظ معاً كيف انبنت لذة الروح هنا برؤية الخالق على شىء حسى لانستطيع تكييفه الآن ، فالرؤيا رؤيا بصرية فى الظاهر ، وإن كنا لا نعرف كيف يكون ذلك البصر يوم القيامة .

من هذا يتضح أن البعث بعث جسدى روحى ، وأن الروح ستأخذ قسطها الأوفى الأكبر من النعيم مع حلولها فى الجسد ، وإلا لما أحست الروح بهذا النعيم .

الأستاذ محمد أبو زهرة :

وددت أن المتكلمين جميعاً قصروا كلامهم على القرآن . لقد خاضوا خوضاً شديداً فى مسائل من شأنها أن تثير الشك ، لا أن تلقى باليقين . أضرب لذلك مثلا أن الأستاذ أبا شهبة ، قال لو كان البعث روحياً لاستوى المحسن بالمسىء ، بينما هؤلاء يقولون العذاب للروح والثواب للروح أيضاً ، بل منهم من يشتط أكثر من ذلك فيقول بتناسخ الأرواح ، وعقاب الأشرار أن تلقى أرواحهم فى أجسام دنيئة ، وثواب الأخيار أن تلقى أرواحهم فى أجسام عالية ، ولذلك أقول إن

القضية ليست قضية العقل ، إنما هى قضية الإيمان. وإذا كان هناك أمر يتصل بالعقل فهو الإيمان بقدرة الله ، ولسنا فى هذا الباب نتجه للإثبات العقلى إلا للإيمان بقدرة الله .

فيصل التفرقة ما بين الإسلام والزندقة هو الإيمان بالغيب ، والله يقول : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ » . فقدم الإيمان بالغيب .

والذين قالوا إن العذاب يوم القيامة روحى والسعادة روحية بعضهم من فلاسفة الإسلام ، بل بعضهم ممن لهم قدم فى تحقيق كثير من الحقائق الإسلامية كابن رشد فى كتابه : « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » . وفى هذا تكلم على أن البعث والنعيم والعذاب روحى ، وأثار بهذا مشاكل كثيرة . القضية الآن هل من يقول ذلك الكلام يعد مسلماً أولا ؟ . إننا بعد المعجزة وبعد ثبوت الإعجاز فى القرآن أصبح كل مسلم مطالباً بأن يؤمن بكل مافى القرآن ، فهل من يقول إن العذاب والنعيم والبعث روحى يعد مؤمناً بالقرآن أو لا ؟. نقول إنه بلا شك نصوص القرآن صريحة ، وقد تفضل الإخوان فتلوا الآيات الكثيرة التى تدل مظاهرها على أن البعث جسمى وروحى ، لأن الإنسان جسم وروح ، والذى سيبعث هو الإنسان ، وأن النعيم نعيم حسى وروحى معاً ، وهناك شاهد صريح وهو قصة أهل الكهف التى تدل على أن الشخص يموت أو يبقى فى حكم الميت ثلثمائة سنة وتسع سنين ، ثم بعد ذلك يتبين أنه حى يرزق ، هذا كله بلا شك صريح فى أن آيات القرآن تدل على البعث الجسمانى ، ولنا بعد ذلك أدلة أخرى ، منها أن البعث لو كان روحياً ما اعترض المشركون بقولهم : « أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ » وإلا لكان يجيبهم فوراً : لا تكونون فى خلق جديد بل تكون أرواحكم هى القائمة ، فالعدول عن هذا إلى الرد بقوله : كما بدأكم تعودون : وغير ذلك من الآيات التى لا يسلم فيها بغرابة العودة ، إنما يتجه إلى بيان أن العودة كما كنتم ممكنة وأن الذى استطاع أن ينشئكم يستطيع أن يعيدكم .. ولو كان البعث روحيا ما كان هناك أبداً إثارة للعجب أو الاستعجاب أو الإنكار ، ونحن المسلمين يجب أن نؤمن بالغيب وباليوم الآخر ، وأن هذه الدنيا قنطرة لحياة أخرى أغلى وأبقى .

ذكر الأستاذ أبو شهبة أن التوراة الحاضرة ليس فيها ذكر لليوم الآخر ، وهذا حق ، وأراد أن يتأول لهذا وتأويله سليم ، لأن التوراة القائمة ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى ، وأنا أزيد على كلامه أن المسألة أنهم لم يحذفوا هذا من التوراة ، لكى يستقيم كلامهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » فقط ، بل إن منهم طائفة كبيرة تسمى الصدوقيين ، تنكر إنكاراً تاماً الإيمان باليوم

الآخر ، ومن مذهبها أن الثواب والعقاب دنيوى فى هذه الحياة . وأنا كنت بصدد أن أعلق على كلمة الأستاذ البنا بهذا الكلام وبما قاله الأستاذ أبو شهبة ، ولكنه قال البعض ؛ فبقى أن أتم البعض الآخر ، وهو أن فرقة الفلاسفة والصدوقيين تنكر الإيمان باليوم الآخر ، ولا تؤمن إلا بالحياة الدنيا .

نجىء إلى كلامهم ... القرآن كما قال الأستاذ الشرباصى صريح فى أن النعيم نعيم حسى ، وأن البعث بعث حسى ، هذا كلام حق ، نوافق عليه حرفياً ، ونزيد عليه أن القول بأن هذا النعيم روحى أو أن البعث روحى إخراج للفظ من حقيقة معناه إلى معنى مجازى ، ولا شك أن إخراج اللفظ من معنى حقيقى إلى معنى مجازى يحتاج إلى قرينة أو إلى استحالة ، ولا شك أنه لا توجد قرينة تقطع أو تومىء إلى أن ذلك النعيم روحى ، كما أنه لا توجد استحالة فى أن يكون النعيم جسدياً ورجياً ، ولا توجد قرائن بأى نوع من أنواع القرائن إلا ما يجول فى أوهام أولئك الذين يقيسون الغائب على الشاهد .

لكن بعض إخواننا تكلم كلاماً يحتاج إلى نوع من النظر ، ذلك أنه قال إن هناك أزواجاً حقيقيين وإن هناك نعيما بالشكل الذى وصى عليه القرآن تماماً . هذه النقطة تحتاج إلى بعض الإيضاح ، ذلك أن القرآن الكريم ذكر نوع النعيم حسيًا ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم ، بين أن هذا النعيم الحسى ليس هو بالذى نراه فى أيامنا هذه ، فرمان الجنة وخوخ الجنة إلخ .. ليس من نوع فاكهة الدنيا ، ولذلك يقول النبى : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

وابن عباس وكثيرون من المفسرين يقولون إن ما ذكر من أوصاف لنعيم الجنة وما ذكر من خيرات الجنة الحسان ، كل هذا تقريب للأذهان .. ولكن ذلك كله حسى ؛ لأن العرب لا يعلمون إلا ما فى الدنيا ، يعلمون خمر الدنيا ، ولا يعلمون خمراً لا تصدع ولا تنزف فيها العقول ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لهم إن هناك نعيماً حسياً حقيقياً هو أعلى مما ترون ، ولا أستطيع أن أقرب إلا بألفاظ مما ترون ، ولذلك يقول ابن عباس : إن ألفاظ القرآن بالنسبة لنعيم الجنة وعذابها ، ألفاظ مجازية . . ففهم بعض الناس من كلمة مجازية أنها يجوز أن تكون روحية ، فقلنا لهم : إننا نقبل أقل المجاز ، والمجاز الذى يتفق مع المعانى القرآنية ومع القرآن كله فى عمومه لا فى خصوصه ، أن المجاز مجاز محدود ، وهو أن ما عند الله من نعيم هو حسى ومن جنس الحسى ، ولكن لذة الجنة وما يكون فى يوم القيامة أعلى مما ندرك نحن وأعظم مما ندرك نحن ، فلا سبيل إلا بأن تقرب المعانى .

وذلك مثل قوله تعالى : « وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » ... لا شك أن العلم والسمع والبصر كل هذه أوصاف لله سبحانه وتعالى ، وهى أوصاف حقيقية لا مجاز

فيها ، ولكن أهى من نوع السمع والبصر الذى نعلمه ؟ أو الكلام الذى نعلمه ، أو العلم الذى نعلمه ؟ كلا ، إنها أعلى من ذلك ، فإذا كنت تسمى التعبير بعليم وغفور ورحيم وقادر . . . إلخ ، عبارات مجازية ، فسم أيضاً نعيم الجنة عباراته عبارات مجازية ، ولكننا نقول إنها نوع من هذا الجنس الحسى ، ولكن لأن الحقائق التى تكون فى الجنة ، والحقائق التى تكون فى النار ، والبعث ، كل هذه معانٍ لم تدركها اللغة العربية ، ولا تستطيع اللغة العربية أن تحيط بها ؛ كان لا بد من أن تستعمل الألفاظ ، ولكن فى معان أعلى منها .

والواقع أن الإيمان بالآخرة هو أصل الدين ، وهو لب اليقين . كنت أسمع فى مؤتمر من منذ يومين ، تكلم فيه رجل لا أدرى أدخل فى الإسلام أم لم يدخل ، ولكنه قال يجب أن نؤمن بالأديان وباليوم الآخر أيضاً ، نقول له : لا ، بل قل نؤمن باليوم الآخر أولاً وبالذات ، ونؤمن بالأديان التى تحكى لنا ما يكون فى اليوم الآخر ... الإيمان باليوم الآخر هو عزاء المتدين ، والذين ينكرون الإيمان باليوم الآخر لهم سبيل مادى يسالكونه ، يجسمون الشقاء الذى يكون فيه ابن الأرض ، وهو شقاء كان مع الأرض ومع وجوده فيها ، ويريدون تجسيم هذا الشقاء ، ولا يجدون ما يقف عقبة فى سبيلهم إلا الإيمان باليوم الآخر ، ولذلك بين الله الخسارة التى يخسرها من لا يؤمن باليوم الآخر فقال : « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ » ..خسروا خسراناً مبيناً ، خسروا العزاء الروحى ، وخسروا رضوان الله ، وخسروا نعمته ، وخسروا الإحساس العميق بأن كل ما فى هذه الدنيا إلى زوال ، وأن الخير والشر يتنازعان فى هذا الوجود ، وأن من يستمسك بالخير إن لم ينتصر اليوم فسينال الجزاء فى الآخرة ، وأن من يستمسك بالشر ، إن انتصر اليوم ، فإن العذاب فى الآخرة يلقاه .. هذا الإيمان يوجد عزاء ويوجد قوة ، ويوجد إرادة حازمة فى الاستمتاك بخير الدنيا وبالفضيلة .

هذا ما يريد أولئك أن يزيلوه ، ولذلك يقول قائلهم : إن الإديان مخدر ، كلا ، كذبوا والله ، ليست الأديان مخدراً ، ولكن الأديان تبين الحقيقة الإنسانية ، وتبين النور الذى به يقوى الإنسان ، فى نزاع الفضيلة ضد الرذيلة .

الخلاصة

ان البعث هو بعث الأجساد والأرواح كما صرحت النصوص القرآنية القاطعة ، وان الذين ينكرون البعث بالأجسام والأرواح ، ويقصرونه على الأرواح فقط ، لايؤمنون بالغيب ، ولا يؤمنون بقدرة الله ، ولا يؤمنون بما أنزل على محمد وعلى النبيين من قبله .

وان نعيم الجنة حسى ، وعذاب النار حسى ، وأن المؤمنين ينالون الى جانب النعيم الحسى ، نعيما أعلى وأسمى ، وهو رضوان سبحانه وتعالى .

أنابيش

جعفر الصادق يوصى ابنه

يابنى ، احفظ وصيتى تعش سعيدا ، وتمت شهيدا ، يابنى ، من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى مافى يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم له اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه ، استعظم زلة غيره ، ومن استعظم زلة نفسه ، استصغر زلة غيره .

يابنى ، من كشف حجاب غيره ، انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يابنى ، قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة ، فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال .

الأدب العالى

كان أسماء بن خارجة الفزارى سيد أهل الكوفة وأنبلهم ، فقال له عبد الملك بن مروان يوما : حدثنى بما بلغنى عنك ياأسماء . فقال : يحدثك غيرى به يا أمير المؤمنين ، قال : بل أريد أن أسمع منك .

فقال : ما مددت رجلى بين يدى جليس قط ، مخافة أن يرى أنى تكبرت عليه ، ولا سألنى رجل قط حاجة إلا كان أكبر همى من الدنيا قضاءها ، ولا أكل رجل قط عندى أكلة ، إلا كان له علىّ الفضل أيام حياتى ، ولا ظلمنى رجل قط بمظلمة ، إلا رأيت العفو عنه .

فقال عبد الملك : حسبك بهذا شرفا يا أسماء .

ماذا أراد ؟

قال الإمام الشافعى لقومه فى مرضه الذى مات فيه : إذا أنا مت ، يغسلنى فلان . فلما مات قال : ائتونى بتذكرته ، فوجد فيها على الشافعى دينا لفلان وفلان ، فكتبه الرجل على نفسه . وقال : هذا هو الغسل الذى أراده ؟

عبد الرحمن الضبيع

عِبَرٌ وعظات

٦٦ — مطاوعة الأصدقاء

يقول الصوفية : إذا قال لك صاحبك : هيا ؛ فقلت له : إلى أين ؟ فلست بصديق .

وكتب بعض الأصدقاء إلى صديق له : إنك صادقت منى جوهر نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأن النفس يتبع بعضها بعضاً .

٦٧ — عداوة الأنذال

قال بعض الشعراء :

عداوةُ غير ذى حسب ودين   بلاء ليس يشبهه بلاء
ويرتع منك فى عرض مصون   يبيحك منه عرضا لم يصنه

٦٨ — طريق الحياة

قال أعرابى : الله يخلف ما أتلف الناس ، والدهر يتلف ما جمعوا ، وكم من ميتة علَّتُها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت .

وهذا يشبه قول أبى بكر الصديق لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة .

٦٩ — خير الكلام

من المنسوب إلى الإمام الشافعى :

لا خير فى حشو الكلا   م إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت أجمل بالفتى   من منطق فى غير حينه
وعلى الفتى لطباعه   سِمة تلوح على جبينه

٧٠ — الدين والدرهم

قيل إن لقمان الحكيم قال لابنه : يابنى ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك !.

٧١ — سرعة الطاعة

جاء عبد الله بن رواحة إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسمع الرسول يخطب ويقول : اجلسوا . فجلس عبد الله مكانه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم

من خطبته ، فبلغ ذلك النبى فقال : زاده الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله .

وفى الحديث : نعم الرجل عبدالله بن رواحة .

٧٢ – بين الماضى والحاضر

قلت : يارب ، لا تجعل الذين صاروا كباراً ينسون أنهم كانوا صغاراً فى يوم من الأيام ، ولا تجعل الذين شبعوا ينسون أنهم جاعوا من قبل الشبع ، ولا تجعل الذين استراحوا ينسون أنهم تعبوا وهم فى سبيلهم إلى الراحة !! …

٧٣ – الترفع على السفهاء

من شعر أبى إسحاق الصابى :

أيهـــا النابح الذى يتصدى   بقبيح يقـــوله لجوابى
لا تؤمل أنى أقول لك : اخسأ   لست أسخو بها لكل الكلاب!

٧٤ – لم لا يجاب الدعاء؟

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: قال الله عز وجل : « ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ » فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال: من أجل خمسة أشياء . قيل : وماهى؟ قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته ، وقلتم نلعن إبليس وأطعمتوه ، والخامسة : تركتم عيوبكم وأخذتم فى عيوب الناس !.

٧٥ – عز القناعة

من أمثال العرب : أعز من قنوع . ويقول الشاعر :

وكنتُ أعز عزاً من قنوع   ترفع عن مطالبة الملولِ
فصرت أذلَّ من معنى دقيق   به فقر إلى ذهن جليـــل

٧٦ – التصوف أخلاق

سئل أبو الحسين النورى الصوفى عن التصوف ، فقال : ليس التصوف رسوماً ، ولا علوماً ، ولكنه أخلاق !! .

٧٧ – عند الموت

يروى أن الحجاج قال هذه الأبيات لما حضرته الوفاة :

إنَّ ذنبى وزن السموات والأر   ض ، وظنى بخالقى أن يحابى
فلئن منَّ بالرضى فهو ظنى   ولئن مر بالكتاب عذابى
لم يكن ذاك منه ظلماً ، وهل يظ   لم رب يرجى لحسن المآب ؟ !

٧٨ — بلوغ الأربعين

قال أحد الشعراء :

إذا المرء فى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياء ولاستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى مضى وإن جر أسباب الحياة له العمر !

وقيل : لم يبعث نبيّ إلا بعد الأربعين. وعن ابن عباس مرفوعا : « من أتى عليه الأربعون سنة فلم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار » . ومما يشير إلى هذا فى التنزيل المجيد قوله تعالى : « وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ! .

٧٩ — بين الآباء والأبناء

فى كتاب (الآداب الشرعية) لابن مفلح الحنبلى :

قال فى المستوعب : ومن الواجب بر الوالدين وإن كانا فاسقين ، وطاعتهما فى غير معصية الله تعالى ، فإن كانا كافرين فليصاحبهما فى الدنيا معروفا ، ولا يطعهما فى كفر ولا فى معصية الله ؛ وعلى الوالدين أن يعلِّما ولدهما الكتابة وما يتقن به دينه من فرائضه وسننه ، والسباحة والرمى ، وأن يورثاه طيباً ! . .

٨٠ — تزاور الأقارب

فى (الإحياء) للغزالى : روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وتقاطع الرحم .

٨١ — جوامع الكلم

فى (النهاية) لابن الأثير أن من حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قوله : عجبتُ لمن لَاحَنَ الناس (أى خاطبهم) كيف لا يعرف جوامعَ الكلم ؟ . . . أى كيف لا يقتصر على الوجيز ، ويترك الفضول ؟ ؟ .

٨٢ — الحلال والإسراف

من كلام بشر بن الحارث الصوفى : الحلال لا يحتمل السَّرَف ! . . .

« أبو حازم »

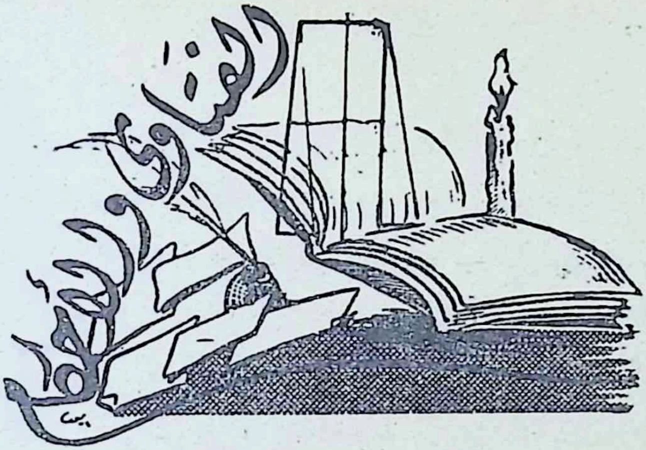

س ١ : السيد / على . ف ـ ميت غمر ـ يسأل :
أردت أن أتزوج ابنة خالى فقالت أمى إنى رضعت من جدتى أم خالى من لبن خالتى التى تصغره كثيرا ويفرق بينهما خمسة أولاد فهل يحل الزواج لى .

ج ١ : الجواب عن ذلك لا يحل ، لأنها ابنة أخيك رضاعا ، إذ أن رضاعك من جدتك التى هى أمك أوجد بينكما صلة أخوة رضاعية .

س ٢ : السيد / سليمان صالح إبراهيم ـ مطرية مصر ـ يسأل :
توفى صالح إبراهيم محمد حسن بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٠ عن أولاده محمد ومحمود وسليمان وسيدة وعائشة ونفيسة وعن بنتى بنته خديجة المتوفاة قبله بتاريخ ١٩٣٦/٥/١٣ وهما فتحية وسميحة ، نرجو بيان نصيب كل وارث مع ملاحظة أن الابنة المتوفاة كانت فى حالة وضع ووضعت مولودا ذكراً توفى بعد وفاة أمه بيومين من ولادته .

ج ٢ : يكون لابنتى البنت المتوفاة عشر التركة ، والباقى من التركة يقسم بين الأبناء والبنات للذكر مثل حظ الأنثيين ، والولد الذى توفى بعد وفاة أمه لا يستحق شيئًا .

س ٣ : السيد / كامل مرسى ـ مركز المحمودية ـ يسأل :
تزوجت امرأة من ابن عمها سنة ١٩٤٢ وأنجبت منه طفلين ، ولم يدم هذا الزواج أكثر من ثلاث سنوات ، ثم طلقت منه لتعذر المعيشة معه ، وسجل عليها شرطا بحرمانها وأولادها من النفقة الشرعية نظير أن يترك لها الأولاد وتتكفل بتربيتهم ، وبعد مضى ١٣ سنة جاء يطالب بالأولاد . وهو متزوج زوجة أخرى أنجب منها ٤ أولاد ويقيم مع رجل ثرى حرضه على إحضار الأولاد ليستغلهم ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يأخذ أولاده ؟

ج ٣ : له الحق فى ضم أولاده إلا إذا ثبت أنه غير أمين عليهم ، وتنازله عن الحق وقتاً لا يقتضى تنازله فى كل الأوقات ، لأن حق الضم حق للأولاد كما هو حق لأبيهم .

س ٤ : السيد / الأستاذ محمود سابق ـ مصر الجديدة ـ يسال :
فى زكاة المال : هل يعتبر فى حولان الحول العام الهجرى أو العام الأفرنجى ؟. ويحدث فى بعض الشهور وفر فى المـال ، بينما قد يصرف إيراد الشهر كله فى بعض الشهور الأخرى ، فهل نحسب قيمة ٢½ ٪ من واقع الرصيد فى آخر العام على الرغم من أن جزءا من الرصيد لم يمض عليه سوى شهر أو أكثر ، فالرصيد مثلا فى آخر العام ألف جنيه ، ولكنه تكون على شهور السنة .

ج ٤ : الحول المعتبر هو الحول الهلالى ، وكل التقديرات الشرعية تقدر بالسنة الهلالية والله يقول : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » . أما بالنسبة لما يؤخذ عنه الزكاة فقد اختلف الفقهاء فى مقداره فى مثل هذه المسألة ، فقال أبو حنيفة : ما دام المـال لم ينقص عن النصاب فإن الزكاة تجب فى النماء وفى الأصل .

وقال مالك : ما دام النصاب يكون كاملا فى الابتداء والانتهاء فإن الزكاة تؤخذ عن الأصل والنماء ولو نقص عن النصاب فى أثناء العام . وقال الشافعى : كل زيادة عن الأصل فى أثناء العام ينظر إليها بالنسبة لوجوب الزكاة ، على أساس أنه لا بد من حولان حول مستقل بالنسبة لها ، وعلى مقتضى مذهب الشافعى هذا يكون للشخص أوقات مختلفة طول العام .

س ٥ : من الأستاذ محمود سابق :
أحد الأشخاص عنده منزل يحصل منه على إيجار شهرى ، أو لديه أسهم يربح منها سنويا قيمة الكوبون ، فهل يدفع الزكاة على ثمن المنزل أو ثمن الأسهم أو على إيجار المنزل وقيمة الكوبونات ؟ وما التاريخ الذى يحسب منه ؟ وما الحكم فى ربح السندات التى تربح ربحا ثابتا مثل ٥ ٪ . أحلال أم حرام ؟ .

ج ٥ : أما السندات فإن كسبها خبيث بلا شك ويجب التصدق به وأما بالنسبة للسند نفسه فإنه يعتبر من عروض التجارة يسرى عليه ما يسرى عليها ، فتجب الزكاة بربع عشر القيمة. وأما بالنسبة للدور أو العمائر المستغلة فإن الذى انتهى إليه رأينا هو أنها تقاس على الأراضى الزراعية فتجب الزكاة بعشر الصافى ، وأما كوبونات الأسهم فإن كانت الأسهم لشركات تجارية فإن الأسهم تعتبر كعروض التجارة وتجب فى قيمتها بربع العشر وإذا كانت الشركات صناعية أو زراعية أو نحو ذلك فإن الزكاة تجب فى نفس الكوبونات بمقدار العشر .

محمد أبو زهرة

فهرس

١٣٩ الحج أشهر معلومات ... ... أحمد حمزة
١٤١ تفسير القرآن الكريم ... ... محمد أبو زهرة
١٤٧ دم المسلم حرام إلا لثلاث (حديث شريف) ... ... عبد الوهاب حمودة
١٥٠ تساهل المسلمين مع العلماء من كل ملة ... ... محمد البنا
١٥٤ حول القرآن — علم القرآن ... ... محمد أبو زهرة
١٥٩ قصص علمتني ... ... محمد كامل البنا
١٦٢ دراسات قرآنية . ... مصطفى زيد
١٦٦ نفس تواقة ... ... أحمد الشرباصي
١٧٠ من أعلام الإسلام — على بن أبي طالب — ... ... عبد المغنى المنشاوى
١٧٣ ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ... ... عبد الرحمن الضبع
١٧٥ الميتة والدم ولحم الخنزير — ٢ — ... ... الدكتور حامد الغوابى
١٧٨ يوسف وامرأة العزيز —٣— ... ... أمين دويدار
١٨٢ أيها الحجاج . ... رئيس التحرير
١٨٣ دفاع عن السنة ... ... محمد محمد أبو شهبة
١٨٦ ندوة لواء الإسلام — الحياة الآخرة — ... ... تحرير
٢٠٢ أنابيش ... ... عبد الرحمن الضبع
٢٠٣ عبر وعظات ... ... أحمد الشرباصي
٢٠٦ الفتاوى ... ... محمد أبو زهرة

مجلة لواء الاسلام

مجلة دينية ثقافية اجتماعية

تحمل اليك شهريا من القاهرة قلب الامة العربية خلاصة الفكر الاسلامى فى اسلوب رائع .

صاحب الامتياز : احمد حمزة ـ رئيس التحرير : محمد على شتا
برقيا : الزهراء بمصر ـ ص.ب : ١٩٨٢ ـ تليفون : ٥٠٧٢١
العنوان : ١١ شارع شريف باشا ـ القاهرة

الاشتراك السنوى

فى مصر والسودان	٣٠ قرشا مصريا
فى الدول العربية	٥٠ « «
فى سائر انحاء العالم	٧٠ « «

او ما يوازيها من كوبونات البريد الدولية
(الكوبون الواحد يساوى قرشين مصريين)

مطابع دار الكتاب العربى بمصر

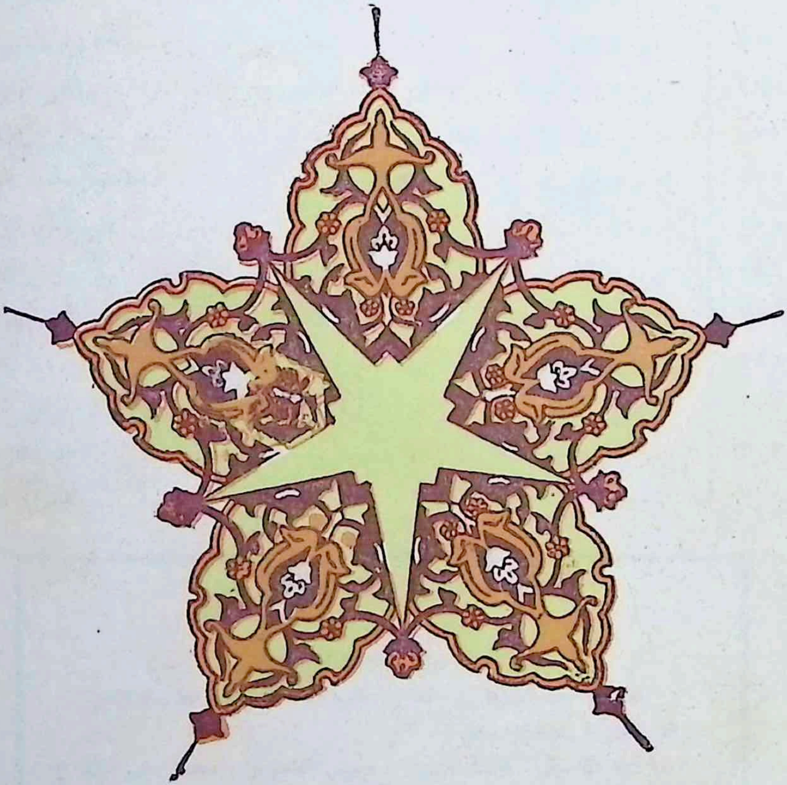

الثمن ٣ قروش

مطابع دار الكتاب العربى بمصر